الجملة العربية
بين تمام حسان ومحمود شرف الدين

د٠ فاطمة يسري رشدي السيد جبر(*)

المقدمة:

يعتني البحث بدراسة معالم الجملة العربية عند الأستاذ الدكتور تمام حسان والأستاذ الدكتور محمود شرف الدين – رحمهما الله تعالى –، وإبراز أهم المعالم والمحاور التي شكلت مفهوم الجملة عندهما، وانصبت عنايتي باستخراج تلك المعالم واستكمال الصورة التي تشكلت لديهما للجملة العربية من خلال مؤلفاتهما، وعلى رأسها كتاباهما: (اللغة العربية معناها ومبناها)، و(الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة: دراسة تفسيرية)، ونظرا لطبيعة البحث التي تجمع بين التحليل والمقارنة، فقد اعتمد البحث آليات عدة، منها: التحليل والمقارنة والتتبع التاريخي والوصف. اشتمل البحث على:

تمهيد دار حول نقطتين: الأولى: (مفهوم الجملة عند النحاة) تتبعت فيها بشكل مركز مفهوم (الجملة) وتطوره عند النحاة بداية من الخليل (ت: ١٧٠هـ) وسيبويه (ت: ١٨٠هـ)، ومرورا بالمبرد (ت: ٢٨٥هـ)، وابن السراج (ت: ٣١٦هـ)، وأبو علي الفارسي (ت: ٣٧٧هـ)، والرماني (ت: ٣٨٤هـ)، وابن جني (ت: ٣٩٢هـ)، وابن برهان (ت: ٤٥٦هـ)، وعبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ)، والزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، وابن الخشاب (ت: ٥٦٧هـ)، وابن يعيش (ت: ٦٤٣هـ)، وابن الحاجب (ت: ٦٤٦هـ)، والرضي (ت: ٦٨٤هـ أو ٦٨٦هـ)، وابن هشام (ت: ٧٦١هـ)، وخالد الأزهري (ت: ٩٠٥هـ)، وانتهاء بالسيوطي (ت: ٩١١هـ)،

(*) مدرس بقسم النحو والصرف والعروض بكلية دار العلوم – جامعة القاهرة.

والثانية: (تقسيمات النحاة للجملة) وذكرت فيه (تقسيمات الجملة في التراث النحوي) إجمالا، والقائلين بكل تقسيم.

و**مقدمة** استعرضت فيها (السياق المعرفي لفكر تمام حسان ومحمود شرف الدين) الذي اكتنفاهما وعمل على تشكيل فكرهما اللغوي من خلال رافدين داخلي وخارجي.

و**مبحث أول** بعنوان: (معالم مفهوم الجملة عند تمام حسان)، عرضت فيه معالم مفهوم الجملة العربية عنده من خلال كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها).

ومبحث ثان بعنوان: (معالم مفهوم الجملة عند محمود شرف الدين)، توقفت فيه مع تحليل معالم مفهوم الجملة العربية عنده من خلال كتبه: (جملة الفاعل بين الكم والكيف)، و(الفعليات)، و(الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة: دراسة تفسيرية).

و**رأي البحث** و**خاتمة** ذكرت فيها أهم ما وصل إليه البحث من نتائج.

و**قائمة** بالمصادر والمراجع والرسائل الجامعية والبحوث العلمية.

والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تمهيد

النقطة الأولى:

تتبع مفهوم الجملة عند النحاة:

ورد لفظ (الجمل) في عنوان بعض المؤلفات النحوية، وأقدمها ما ينسب إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ) في كتاب له بعنوان (الجمل) كما ذكر ياقوت الحموي في معجم الأدباء[١] ، وعند سيبويه (ت: ١٨٠هـ) في الكتاب وردت كلمة (الجملة) في سبعة مواضع، واستعمل لفظ (الجمل) مرة واحدة بصيغة الجمع، وفي كل المواضع استعملت الكلمة بالمعنى اللغوي لها، فهي تعني عند سيبويه الشيء الجامع لأفراده الضام لهم، كذلك استعملها في معنى الإجمال المقابل للتفصيل، فكأنه ضم الفروع أو التفصيلات في أصول جامعة لها، ولم يستعمل سيبويه (الجملة) مصطلحا نحويا[٢] ، فلم يرد عند سيبويه لفظ (الجملة) بمعناها الاصطلاحي الذي عُرف به فيما بعد عن النحاة، وبالتالي لم نجد عنده التقسيم الحادث للجملة عند لاحقيه، ذلك التقسيم الذي اختلف فيه لاحقوه ما بين قسمة ثنائية أو ثلاثية أو رباعية أو خماسية؛ لأنه كان منطلقا في عرضه للجملة العربية من "نواة أولية ثم إحداث تحويلات تركيبية في هذه النواة مع رصد المتغيرات الناتجة عن هذه التحويلات"[٣]. وورد في الكتاب استعمال (الكلام) في

---

(١) (معجم الأدباء) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، تحقيق: إحسان عباس، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م ، جـ ٧ صـ ٣٣٦٣.

(٢) (مفهوم الجملة عند سيبويه) د. حسن عبد الغني جواد الأسدي، صـ ٢٦ – ٢٨ بتصرف يسير، ط: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م، وانظر بحث (الجملة في نظر النحاة العرب) الأستاذ الدكتور عبدالقادر المهيري، صـ ٣٥– ٤٦، حوليات الجامعة التونسية، العدد ٣ عام ١٩٦٦م.

(٣) (البنية النحوية بين تفاعلات الكلام وثبات النظام) الدكتور أحمد عزت عيسى، صـ ٣٩٧، رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية دار العلوم جامعة القاهرة بتاريخ ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م.

مقابل (الجملة) في مواضع كثيرة[١]، أما مصطلح (الكلام) فقد تعدد مدلوله في الكتاب[٢]، ثم نجد المبرد (ت: ٢٨٥هـ) في كتابه (المقتضب) قد استعمل مصطلحي (الجملة) و(الجمل) للإشارة إلى الفعل وفاعله، أوالمبتدأ وخبره[٣]. يأتي بعد ذلك القرن الرابع، ويقابلنا من نحاته مَنْ حاول تقديم تصور للجملة العربية، وهم: ابن السراج (ت: ٣١٦هـ)، وهو يعدّ من أكثر النحاة المتقدمين نضجا في حديثه عن الجملة، ووصفها بالمفيدة وجعلها على ضربين: فعل وفاعل، ومبتدأ وخبر، لكنه أومأ في موضع آخر إلى أن الجملة أربعة أنواع[٤]، وأبو علي الفارسي[٥] (ت: ٣٧٧هـ)، والرماني (ت: ٣٨٤هـ)، وابن جني (ت: ٣٩٢هـ)،

---

(١)انظر الكتاب لسيبويه جـ ١ صـ ١٢٢.

(٢) انظر (بناء الجملة العربية) الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، ط: دار غريب ٢٠٠٣م، صـ ٢٢/ ٣٠- ٣١، و(مفهوم الجملة عند سيبويه) صـ ٢٨- ٣١، فقد استفاضا في بيان تلك المعاني مع ذكر الدليل عليها من كتاب سيبويه.

(٣) من ذلك قوله في (المقتضب): "وَالْأَفْعَال مَعَ فاعليها جمل"، /٤/ ١٢٣/، وقوله: "وَمثل هَذَا من الْجمل، قَوْلك: مَرَرْت بِرَجُل أَبوهُ منطلق، وَلَو وضعت فِي مَوضِع رجل معرفَة لكَانَتْ الْجُمْلَة فِي مَوضِع حَال. فعلى هَذَا تجْرِي الْجمل"، /٤/ ١٢٥/.

(٤) يقول في (الأصول في النحو): "الجمل المفيدة على ضربين إما فعل وفاعل، وإما مبتدأ وخبر"، جـ ١ صـ ٦٤، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، ط ١ مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٥م، ويقول أيضا: "اعلم أن (الذي) لا تتم صلتها إلا بكلام تام، وهي توصل بأربعة أشياء: بالفعل، والمبتدأ، والظرف، والجزاء بشرطه وجوابه"، جـ ٢ صـ ٢٦٦، وانظر بحث (معالم الجملة النحوية عند أبي بكر بن السراج ت: ٣١٦هـ) أ. عبد الحليم عبد الله، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلد ٨٥، جـ ٣، عام ٢٠١٠م، صـ ٨٤٩ – ٨٧٠.

(٥) قال أبو حيان في حديثه عن الخبر: "الخبر: مفرد وجملة، هذا تقسيم الجمهور، وذهب ابن السراج إلى أن الظرف والمجرور قسم برأسه، وليسا من قبيل المفرد، ولا من قبيل الجملة، وزعم أبو علي أنه مذهب حسن" ارتشاف الضرب، أبو حيان، صـ ١١١٠، تحقيق: رجب عثمان، ط: ١، مكتبة الخانجي – القاهرة ١٩٩٨م، ويقول أبو علي الفارسي: "وأما الجملة التي تكون خبر المبتدأ فعلى أربعة أضرب: الأول أن تكون جملة مركبة من فعل وفاعل، والثاني أن تكون مركبة من ابتداء وخبر، والثالث أن تكون شرطا وجزاء، والرابع أن تكون ظرفا"، (الإيضاح العضدي) للفارسي، صـ

فالجملة عند الرماني مرتبطة بالإسناد الذي يستدعي وجود طرفين، وأما الجملة عند ابن جني فمحورها الفائدة بغض النظر عن توافر عناصر الإسناد فيها[١]. وابتداء من القرن الخامس فما بعده تباينت مذاهب النحاة تباينا كبيرا في تحديد مفهوم (الجملة)، وأهم تلك المذاهب مذهبان[٢]:

الأول: يحدد مفهومها بتحقق الإسناد فيها، دون نظر إلى الفائدة مطلقا.

الثاني: يعتبر (تحقق الفائدة) دون نظر إلى الإسناد.

والقائلون بالثاني قلة نادرة من النحويين يأتي في مقدمتهم ابن برهان ت: ٤٥٦هـ في كتابه (شرح اللمع لابن جني)، وابن الخشاب ت: ٥٦٧هـ في كتابه (المرتجل).

والقائلون بالأول هم الكثرة الغالبة من النحويين، ويسيرون في اتجاهين:

- اتجاه يرادف بين (الجملة) و(الكلام)، ويأتي على رأس القائلين به عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ) في كتابيْه (الجمل)[٣]، و(دلائل الإعجاز)[١]، ثم الزمخشري[٢] (ت: ٥٣٨هـ).

٤٣، تحقيق: حسن شاذلي، ط١: دار التأليف – مصر ١٩٦٩م. وذكر ابن يعيش أن أنواع الجملة أربعة: اسمية وفعلية وظرفية وشرطية، ونسب هذه القسمة إلى الفارسي، انظر (شرح المفصل) لابن يعيش، جـ ١ صـ ٨٨ و٨٩، ط: المطابع المنيرية – القاهرة، ويبدو أن الفارسي مسبوق إلى هذه القسمة.

(١) يقول الرماني: "الجُمْلَة هِيَ المبنية من مَوْضُوع ومحمول للفائدة"، (رسالة الحدود)، جـ ١ صـ ٦٨، ويقول ابن جني: "أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه. وهو الذي يسميه النحويون الجمل، نحو زيد أخوك، وقام محمد، وضرب سعيد، وفي الدار أبوك، وصه، ومه، ورويد، وحاء وعاء في الأصوات، وحس، ولب، وأف، وأوه، فكل لفظ استقل بنفسه، وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام"، (الخصائص) جـ١ صـ ١٨، ٢٠.

(٢) انظر (مقومات الجملة العربية) د. علي أبو المكارم، صـ ٢٣ – ٤٦.

(٣) "اعلم أن الواحد من الاسم والفعل والحرف يسمى كلمة، فإذا ائتلف منها اثنان فأفادا نحو: خرج زيدٌ، سمي كلاما وسمي جملة" (الجمل) لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، صـ ٤٠، حققه وقدم له: علي حيدر، دمشق ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

- اتجاه يرى (الجملة) أوسع دائرة من الكلام، ويمثله ابن الحاجب (ت: ٦٤٦هـ)، وشارحه الرضي[٣] (ت: ٦٨٤هـ أو ٦٨٦هـ)، وابن هشام[٤] (ت:

---

(١)"ومختصر كلّ الأمر أنه لا يكون كلام من جزء واحد، وأنه لا بدّ من مسند ومسند إليه، وكذلك السبيل في كل حرف رأيته يدخل على جملة" (دلائل الإعجاز) أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، صـ ٧، الناشر: مطبعة المدني ودار المدني بجدة، طباعة: مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢م.

(٢) "والكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى. وذاك لا يتأتى إلا في اسمين كقولك: زيد أخوك، وبشر صاحبك، أو في فعل واسم نحو قولك: ضرب زيد، وانطلق بكر وتسمى الجملة" (المفصل في صنعة الإعراب) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، تحقيق: د. علي بو ملحم، جـ ١ صـ ٢٣، الناشر: مكتبة الهلال – بيروت، الطبعة الأولى عام ١٩٩٣.

(٣) "والفرق بين الجملة والكلام: أن الجملة ما تضمن الإسناد الأصلي سواء كانت مقصودة لذاتها، أو لا، كالجملة التي هي خبر المبتدأ، وسائر ما ذكر من الجمل، فيخرج المصدر، واسما الفاعل والمفعول، والصفة المشبهة، والظرف مع ما أسندت إليه. والكلام ما تضمن الإسناد الأصلي، وكان مقصودا لذاته، فكل كلام جملة، ولا ينعكس (شرح الرضي لكافية ابن الحاجب) محمد بن الحسن الإستراباذي السمنائي النجفي الرضي، جـ ١ صـ ١٨، دراسة وتحقيق: حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي ويحيى بشير مصري، المملكة العربية السعودية/ وزارة التعليم العالي (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) سلسلة نشر الرسائل الجامعية، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

(٤) "الْكَلَام هُوَ القَوْل الْمُفِيد بِالْقَصْدِ، وَالْمرَاد بالمفيد مَا دلّ على معنى يحسن السُّكُوت عَلَيْهِ، وَالْجُمْلَة عبارَة عَن الْفِعْل وفاعله كقَامَ زيد، والمبتدأ وَخَبره كزيد قَائِم، وَمَا كَانَ بِمَنْزِلَة أَحدهمَا نَحْو ضرب اللص وأقائم الزيدان وَكَانَ زيد قَائِما وظننته قَائِما. وَبِهَذَا يظْهر لَك أَنَّهُمَا ليسَا مترادفين كَمَا يتوهمه كثير من النَّاس، وَهُوَ ظَاهر قَول صَاحب الْمفصل فَإِنَّهُ بعد أَن فرغ من حد الْكَلَام قَالَ وَيُسمى جملَة وَالصَّوَاب أَنَّهَا أَعم مِنْهُ؛ إِذْ شَرطه الإفادة بِخِلَافِهَا، وَلِهَذَا تسمعهم يَقُولُونَ جملَة الشَّرْط، جملَة الْجَواب، جملَة الصِّلَة، وكل ذَلِك لَيْسَ مُفِيدا فَلَيْسَ بِكَلَام"، (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) ابن هشام، صـ ٤٩٠، تحقيق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة السادسة ١٩٨٥م.

٧٦١هـ)، والشيخ خالد الأزهري[١] (ت: ٩٠٥هـ)، والإمام السيوطي[٢] (ت: ٩١١هـ). فالعبرة في الفرق بين (الجملة) و(الكلام) مبني عندهم على الإفادة، ففي كل منهم إسناد وفائدة، والكلام فائدته لابد أن تكون تامة، والجملة فائدتها يمكن أن تأتي ناقصة. فهو فارق وظيفي وليس كميا.

النقطة الثانية:

ذكر تقسيمات الجملة عند النحاة:

تعددت تقسيمات الجملة العربية في التراث النحوي ما بين:

- تقسيم ثنائي للجملة إلى جملة فعلية، وجملة اسمية عند المبرد (ت: ٢٨٥هـ)، والأنباري[٣] (ت: ٣٢٨هـ) الذي يقطع بوجود نوعين فقط للجملة العربية وما سواهما فمندرج تحتهما.

---

(١) يشير إلى "أَن اللَّفْظ الْمركب الإسنادي يكون مُفِيدا كقام زيد، وَغير مُفِيد، نَحْو: إِن قَامَ زيد، وَأَن غير الْمُفِيد يُسمى جملَة فَقَط، وَأَن الْمُفِيد يُسمى كلَاما؛ لوُجُود الْفَائِدَة، وَيُسمى جملَة؛ لوُجُود التَّرْكِيب الإسنادي، ونعني معشر النُّحَاة بالمفيد حَيْثُ أطلقناه فِي بحث الْكَلَام مَا يحسن من الْمُتَكَلّم السُّكُوت عَلَيْهِ بِحَيْثُ لَا يصير السَّامع منتظرا لشَيْء آخر، وَبَين الْجُمْلَة وَالْكَلَام عُمُوم وخصوص مُطلق، وَذَلِكَ أَن الْجُمْلَة أَعم من الْكَلَام؛ لصدقها بِدُونِهِ وَعدم صدقه بِدُونِهَا، فَكل كَلَام جملَة؛ لوُجُود التَّرْكِيب الإسنادي، وَلَا ينعكس عكسا لغويا، أَي لَيْسَ كل جملَة كلَاما؛ لِأَنَّهُ يعْتَبر فِيهِ الإفادة بِخِلَافِهَا، أَلا ترى أَن جملَة الشَّرْط، نَحْو: (قَامَ زيد) من قَوْلك: إِن قَامَ زيد قَامَ عَمْرو، تسمى جملَة لاشتمالها على الْمسند والمسند إِلَيْهِ، وَلَا تسمى كلَاما؛ لِأَنَّهُ لَا يُفِيد معنى يحسن السُّكُوت عَلَيْهِ"، (موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب) خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد، صـ ٣١، تحقيق: عبد الكريم مجاهد، الناشر: الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١٥هـ/ ١٩٩٦م.

(٢) "ذهبت طَائِفَة إِلَى أَن الْجُمْلَة وَالْكَلَام مترادفان، وَهُوَ ظَاهر قَول الزَّمَخْشَرِيّ فِي الْمفصل، فَإِنَّهُ بعد أَن فرغ من حد الْكَلَام قَالَ وَيُسمى جملَة، وَالصَّوَاب أَنَّهَا أَعم مِنْهُ إِذْ شَرطه الإفادة بِخِلَافِهَا"، (همع الهوامع في شرح جمع الجوامع) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، جـ ١ صـ ٥٥–٥٦، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة التوفيقية – مصر.

(٣)"انقسام الجملة إلى اسميّة وفعلية: فإن قيل: على كم ضربًا تنقسم الجملة؟ قيل: على ضربين: جملة اسميّة، وجملة فعلية؛ فأما الجملة الاسمية، فما كان الجزء الأوّل منها اسْمًا؛ وذلك نحو: "زيد أبوه

- وتقسيم ثلاثي للجملة العربية إلى اسمية وفعلية وظرفية عند ابن السراج (ت: ٣١٦هـ)، وابن هشام[١] (ت: ٧٦١هـ)، والإمام السيوطي[٢] (ت: ٩١١هـ).

- وتقسيم رباعي للجملة العربية إلى اسمية وفعلية وظرفية وشرطية عند الفارسي (ت: ٣٧٧هـ)، والزمخشري[٣] (ت: ٥٣٨هـ).

منطق" فزيد: مبتدأ أول، وأبوه: مبتدأ ثانٍ،ومنطلق: خبر عن المبتدأ الثاني، والمبتدأ الثاني وخبره خبر عن المبتدأ الأول. وأما الجملة الفعلية فما كان الجزء الأول منها فعلاً؛ نحو: زيد ذهب أبوه، وعمرو إن تكرمه يكرمك، وما أشبه ذلك؛ أما الظرف وحرف الجر، فاختلف النحويون فيهما، فذهب سيبويه وجماعة من النحويين إلى أنهما يُعدَّان من الجمل؛ لأنهما يُقَدَّر معهما الفعل، فإذا قال: زيد عندك، وعمرو في الدار كان التقدير: زيد استقر عندك، وعمرو استقر في الدار؛ وذهب بعض النحويين إلى أنهما يعدان من المفردات؛ لأنه يقدر معهما: مستقر؛ وهو اسم الفاعل، واسم الفاعل لا يكون مع الضمير جملة، والصحيح: ما ذهب إليه سيبويه، ومن تابعه"، (أسرار العربية) عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري ، صـ ٧٥- ٧٦، الناشر: دار الأرقم بن أبي الأرقم، الطبعة الأولى عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(١) "فالاسمية هِيَ الَّتِي صدرها اسْم كزيد قَائِم، وهيهات العقيق، وقائم الزيدان عِنْد من جوزه، وَهُوَ الْأَخْفَش والكوفيون. والفعلية هِيَ الَّتِي صدرها فعل، كقام زيد، وَضُرِب اللص، وَكَانَ زيد قَائِما، وظننته قَائِما، وَيقوم زيد، وقم.

والظرفية هِيَ المصدرة بظرف أَو مجرور، نَحْو: أعندك زيد، وأفي الدَّار زيد، إِذا قدرت زيدا فَاعِلا بالظرف، وَالْجَار وَالْمَجْرُور لَا بالاستقرار الْمَحْذُوف، وَلَا مُبْتَدأ مخبرا عَنهُ بهما، وَمثل الزَّمَخْشَرِيّ لذَلِك بـ: (فِي الدَّار)، فِي قَوْلك: زيد فِي الدَّار، وَهُوَ مَبْنِيّ على أَن الِاسْتِقْرَار الْمُقدر فعل لَا اسْم، وعَلى أَنه حذف وَحده، وانتقل الضَّمِير إِلَى الظَّرْف بعد أَن عمل فِيهِ" (مغني اللبيب) صـ ٤٩٢.

(٢) "وتنقسم الْجُمْلَة إِلَى اسمية وفعلية وظرفية. فالاسمية الَّتِي صدرها اسْم كزيد قَائِم، وهيهات العقيق، والفعلية الَّتِي صدرها فعل، كقام زيد، وَضُرب اللص، وَكَانَ زيد قَائِما، وظننته قَائِما، وَيقوم، وقم، والظرفية المصدرة بظرف أَو مجرور، نَحْو: عنْدك زيد، أَو فى الدَّار زيد، إِذا قدرت زيدا فَاعِلا بالظرف أَو الْمَجْرُور، لَا بالاستقرار الْمَحْذُوف، وَلَا مُبْتَدأ مخبرا عَنهُ بهما"، (همع الهوامع في شرح جمع الجوامع) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، جـ ١ صـ ٥٦ - ٥٧، الناشر: المكتبة التوفيقية - مصر.

(٣) "والخبر على نوعين مفرد وجملة. فالمفرد على ضربين: خال عن الضمير، ومتضمن له، وذلك زيد غلامك وعمرو منطلق. والجملة على أربعة أضرب: فعلية، واسمية، وشرطية، وظرفية"، (المفصل

– وتقسيم خماسي للجملة العربية إلى فعلية واسمية وظرفية ووصفية وشرطية عند الأستاذ الدكتور علي أبو المكارم، والأستاذ الدكتور شعبان صلاح في رسالته للماجستير بعنوان: (الجملة الوصفية في النحو العربي)[١].

في صنعة الإعراب) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، جـ ١ صـ ٤٤، تحقيق: د. علي بو ملحم، الناشر: مكتبة الهلال – بيروت، الطبعة الأولى عام ١٩٩٣م، و"وَزَاد الزَّمَخْشَرِيّ وَغَيره الْجُمْلَة الشّرطِيَّة"، (مغني اللبيب) صـ ٤٩٢، و"وَزَاد الزمخشري وَغَيره فى الْجمل الشّرطِيَّة"، (همع الهوامع) جـ ١ صـ ٥٧.

(١) انظر (مقومات الجملة العربية) صـ ١٤١– ١٥٣، وانظر (الجملة الوصفية في النحو العربي) د. شعبان صلاح صـ ١٥٦– ١٦٥.

مقدمة

السياق المعرفي لفكر تمام حسان ومحمود شرف الدين[1]

لا تتشكل الأفكار والتصورات في أذهان العلماء من فراغ، ولكنها وليدة السياق المعرفي، وهذا يجعل الإلمام بهذا السياق أمرا مهما في إدراك أسس هذه التصورات والأفكار، وللإلمام بالسياق المعرفي لفكر الأستاذ الدكتور تمام حسان والأستاذ الدكتور محمود شرف الدين – رحمهما الله – لابد من التطرق **لرافدين أساسيين:**

الأول: **رافد داخلي:**

للأستاذ الدكتور تمام حسان حظ فيه، وللأستاذ الدكتور محمود شرف الدين حظ فيه كذلك. فالتحدي المعرفي الداخلي لدى الأستاذ الدكتور تمام حسان يتمثل في تسهيل النحو، ومحاولته الدخول في هذا العمل من خلال نظرية (القرائن النحوية)، وبالنسبة للأستاذ الدكتور محمود شرف الدين يتمثل في أساتذته الذين تتلمذوا على باحثين غربيين، وكان لهم آراء سلبية من التراث فيما يعرف بالوصفية، الأمر الذي دفع محمود شرف الدين للانكباب على كتب التراث بداية من سيبويه.

---

(١) ولد الأستاذ الدكتور تمام حسان في ٢٧ يناير عام ١٩١٨م بالكرنك بمحافظة قنا، والتحق بالتعليم الأزهري، ثم دار العلوم، وتخرج فيها عام ١٩٤٣م، وانتقل إلى رحمة الله تعالى في ١١ أكتوبر ٢٠١١م. وولد الأستاذ الدكتور محمود عبد السلام أحمد شرف الدين عام ١٩٣٨م بـ (كفر الديب) مركز زفتى في محافظة الغربية، والتحق بالتعليم الأزهري ثم دار العلوم، وتخرج فيها عام ١٩٦٣م. انتقل إلى رحمة الله تعالى فجر يوم الجمعة ٢٢ جمادى الأولى عام ١٤٤١هـ الموافق ١٧ يناير عام ٢٠٢٠م. انظر الترجمة الكاملة لهما في (مناهج أعلام النحو في دار العلوم منذ نشأتها وحتى نهاية القرن العشرين: دراسة تحليلية) رسالتي للدكتوراه مخطوطة بكلية دار العلوم جامعة القاهرة عام ١٤٣٨هـ – ٢٠١٧م، صـ ٥٥– ٦٢ / صـ ٨٢– ٨٦، وانظر الكتاب التذكاري (تمام حسان: رائدا لغويا. بحوث ودراسات مهداة من تلامذته وأصدقائه) إعداد وإشراف: د. عبد الرحمن حسن العارف، صـ ١١– ٣٣، ط: عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

الثاني: **رافد خارجي:**

يتعلق هذا الرافد بسفر الأستاذ الدكتور تمام إلى إنجلترا للحصول على الماجستير والدكتوراه على يد العالم اللغوي الشهير فيرث، ويتعلق بدراسة الأستاذ الدكتور محمود شرف الدين للغة الإنجليزية في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وتدريسه فيها، وسفره لإنجلترا في فصل صيفي لدراسة اللغويات.

الرافد الأول: السياق المعرفي الداخلي:

أولا: الأستاذ الدكتور تمام حسان

بدأ الأستاذ الدكتور تمام حسان تعليمه في الأزهر الشريف ثم في دار العلوم، وتخرج فيها عام ١٩٤٣م، و(دار العلوم) حينئذ "كانت تمثل مركز الثقل في الدراسات اللسانية المعاصرة"(١)، فتشكلت في الدراسات اللغوية جبهتان: جبهة تلج الدراسات اللغوية من منظور قديم، وكان يمثلها الأزهريون، وأخرى تلج الدراسات اللغوية من منظور الدراسات اللغوية واللسانية الحديثة، وكانت تمثلها دار العلوم، ثم بعد ذلك ارتفعت الشكوى من صعوبة النحو، وبدأ كل واحد يدلي بدلوه، وتعددت محاولات التيسير، فمنذ أوائل القرن الماضي لقيت الدراسات اللغوية عامة والنحو العربي بصفة خاصة حظا كبيرا من توجه العلماء والدارسين إليه، وسارت تلك الجهود في مناح متشعبة، ولو لخصنا كل هذه الاتجاهات والمؤلفات الرامية إلى التيسير، والتجديد، والمحافظة على القديم(٢)، لأدركنا أنه بدأ

(١) (اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر) د. عبد الرحمن حسن العارف صـ ٧٠، ط: دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى يناير ٢٠١٣م.

(٢) انظر (المنظومة اللغوية وتكامل المعرفة) رشيد بلحبيب، المبحث الثاني (قضية الإعراب ومشاريع تجديد النحو العربي: قراءة في المنجز)، صـ ٤٣– ٧١، دار العالم العربي للنشر والتوزيع – الإمارات، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م، وانظر (النظام اللغوي بين الشكل والمعنى من خلال كتاب تمام حسان اللغة العربية معناها ومبناها) محمد صلاح الدين الشريف، صـ ١٩٣– ١٩٥، حوليات الجامعة التونسية العدد السابع عشر ١٩٧٩م، وانظر (في إصلاح النحو العربي: دراسة نقدية) عبد الوارث مبروك سعيد، صـ ٥٩– ١٥٩، دار القلم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٨٥م،

يبرز عند الكثيرين أن المشكلة في (العلامة الإعرابية)، وصعوبة تحديدها، وأن النحو العربي (نحو العلامة الإعرابية)، وهذا ما دفع الأستاذ الدكتور تمام حسان إلى أخذ موقف سلبي من كل ما كتب قبله، واتجه إلى التعمق والعلم، وعدم الاكتفاء بمجرد التيسير والتجديد، "فقد ترك التيسير إلى العمق، وأدرك أن ما ذهب إليه السلف في التحليل ينتظر من الخلف التأليف، وأراد التأصل في القديم فدخله من باب العلم الحديث"(١)، وحاول "أن يضع طريقة لدراسة العربية بتطبيق نتائج البحوث الحديثة تطبيقا يلائم خصائص لغتنا، ولقد قاده ذلك إلى الحدّ من دور الإعراب دون أن ينفيه تماما. فالإعراب في نظره ليس إلا قرينة من مجموعة قرائن كالرتبة والصيغة والمطابقة والربط والأداة والنغمة تتضافر كلها لتحديد المعنى، وليس دوره أخطر من بقية القرائن كما أنه لا يقل عنها قيمة، ولكنه قاصر وحده عن ضبط المعاني النحوية"(٢)، وجاء حديثه المطوّل هذا في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) عن (القرائن النحوية) التي تجاور وتصاحب العلامة الإعرابية في بيان المعنى النحوي للجملة، وكان الضغط على فكرة (القرائن النحوية) المختلفة من أجل إثبات أن المعنى النحوي ليس نتاج العلامة الإعرابية وحدها بل تتشارك فيه قرائن عدة من ضمنها العلامة الإعرابية، وتكونت بذلك نظريته الشهيرة (نظرية

وانظر(جمهرة أعلام الأزهر الشريف في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين) أسامة الأزهري، جـ ١ صـ ٢٣٣، ط: مكتبة الإسكندرية ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م.

(١) (النظام اللغوي بين الشكل والمعنى من خلال كتاب تمام حسان اللغة العربية معناها ومبناها) صـ ١٩٥، وانظر (في إصلاح النحو العربي: دراسة نقدية) صـ ٥٩- ١٥٩.

(٢) بحث (لم أعرب الفعل المضارع) الأستاذ الدكتور عبد القادر المهيري، صـ ١٦، حوليات الجامعة التونسية العدد ١٦ عام ١٩٧٨م.

القرائن النحوية)، والتي أولت المقام أو السياق عناية كبيرة، واعتنت بدراسة المعنى الاجتماعي أو الدلالي للجملة أيضا[١].

ثانيا: الأستاذ الدكتور محمود شرف الدين

بدأ الأستاذ الدكتور محمود شرف الدين تعليمه في الأزهر الشريف ثم التحق بكلية دار العلوم، وتخرج فيها عام ١٩٦٣م. وأصبحت المدرسة التي بدأت قبل الأستاذ الدكتور تمام حسان، ومعه تؤتي أُكُلَها في فترة الأستاذ الدكتور محمود شرف الدين، فكان في دار العلوم فريقان:

فريق أول يمكن أن نضع تحته إبراهيم أنيس (دفعة ١٩٣٠م)[٢]، وتمام حسان (دفعة ١٩٤٣م)، وعبد الرحمن أيوب (دفعة ١٩٤٣م)، وكمال بشر (دفعة ١٩٤٦م)، ومحمد عيد (١٩٥٨م)، هؤلاء يمثلون جبهة واحدة تمثل المعنيين بالدراسات اللغوية الحديثة.

وفريق ثان يمثل الجبهة الأخرى، وفيه علي الجارم (دفعة ١٩٠٨م)، وعطية الصوالحي (دفعة ١٩١٨م)، وعلي النجدي ناصف (دفعة ١٩٢١م)، وعباس حسن (دفعة ١٩٢٥م)، وعبد السلام هارون (دفعة ١٩٣٢م)، وعبد الرحمن السيد، وأمين علي السيد، ومحمد بدوي المختون (ثلاثتهم دفعة ١٩٤٦م)، وأحمد علم الدين الجندي (دفعة ١٩٥١م)، وعلي أبو المكارم (دفعة ١٩٦١م)، هؤلاء هم التراثيون في دار العلوم في تلك المرحلة.

الأستاذ الدكتور محمود شرف الدين نشأ على يد هؤلاء، فكان أساتذته في مرحلة الليسانس علي النجدي ناصف وعباس حسن، وفي الدراسات العليا تمام

---

(١) انظر (المنوال النحوي العربي: قراءة لسانية جديدة) الدكتور عزالدين مجدوب، صـ ٤٣ – ٤٤، نشر كلية الآداب – سوسة، ودار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع بالجمهورية التونسية، الطبعة الأولى ديسمبر ١٩٩٨م.

(٢) حرصت على بيان سنة الدفعة لكل أستاذ حتى تتضح سلسلة المدرسة، ويظهر الأستاذ والتلميذ في كل طبقة.

حسان، فهو قد خرج في هذه البيئة التي فيها هاتان الجبهتان: جبهة لها موقف سلبي من التراث، وأخرى لها موقف إيجابي من التراث. هذه الحالة بين هاتين الجبهتين دفعته إلى العكوف على كتب التراث(١)، وعلى رأسها كتاب سيبويه، وهو صاحب الأثر الأكبر في التأثير على شخصيته، وفي تشكيل تصوراته.

ولهذا الرافد أثر عميق في فهمه للجملة، هذا الفهم الذي كان أقرب إلى فهم سيبويه، بل كان سيبويه إمامه في لفته إلى أهميتها، ولذا تعمق في دراسة العلاقة بين التركيب الداخلي والتركيب الخارجي للجملة العربية، وأفاض في بيان كيف أن الشكل للجملة قد يتغير، لكن النسبة تثبت وتبقى، وتكلم عن التراكيب التي تقدم لنا الفعلية في إطار اسمي، أو الاسمية في إطار فعلي، والتراكيب المحايدة، وأكد على عدم انحصار الفكر النحوي في دراسة التركيب الخارجي للغة المتمثل في مجموعة من الرسوم الشكلية الخاصة بالحالات الإعرابية، والترتيب الحر أو المقيد، والمطابقة المطلقة أو الجزئية، والترابط بين عناصر التركيب عن طريق الرصف أو بعض الأدوات، وصرف اهتمامه لدراسة التركيب الداخلي الذي يسمح بالتداخل بين الرسوم السابقة، ويستمد من المعنى ونسبة ما بين العناصر.

الرافد الثاني: السياق المعرفي الخارجي:

أولا: الأستاذ الدكتور تمام حسان:

في عام ١٩٤٦م أُرسل الأستاذ الدكتور تمام حسان مبعوثا من جامعة القاهرة إلى إنجلترا لدراسة علم اللغة، وحصل على الماجستير من معهد الدراسات

(١) على رأسها ثلاثة كتب: كتاب سيبويه، ويليه المفصل للزمخشري بشرح ابن يعيش، ثم شرح الرضي على الكافية. وكتبه ومصنفاته زاخرة بالألفاظ والعبارات التي تشيد بالنحاة العرب، وتقدّر جهودهم أعظم تقدير، انظر (التوابع بين القاعدة والحِكمة) د. محمود عبد السلام شرف الدين، صـ (أ)، و(جـ)، و(ز)، ط: دار الثقافة العربية، الطبعة الأولى – ٢٠٠٨م، وانظر (الإعراب والتركيب) صـ ٩٣/ ١٣٥/ ١٥١ – ١٥٢، وانظر (صوتيات فعليات) صـ ١٣٣ – ١٥٣، وانظر (مقدمات التأليف ونظرات في المنهج) صـ ٩٦، و انظر (الجملة الحُكمية الفعلية) صـ ١١.

الشرقية والإفريقية بجامعة لندن في علم اللغة العام فرع الأصوات اللغوية عام ١٩٤٩م، ثم الدكتوراه عام ١٩٥٢م تحت إشراف أستاذه العالم اللغوي الشهير فيرث. وبتلك التلمذة للعالم اللغوي فيرث قد هيمنت المدرسة الاجتماعية البريطانية (مدرسة لندن) على فكره اللغوي، يقول: "ولكنني لا أستطيع أن أغمط حق النظرية التي بنيت عليها هذه الدراسة، وهي نظرية جاءت نتيجة تجارب القرون في الغرب، فهيكلها غربي، وتطبيقها على اللغة العربية هو القسط الذي أنا مسئول عنه في هذا الكتاب"(١). ويمكنني أن أعطي بعض المؤشرات على تأثر الأستاذ الدكتور تمام حسان بهذا الكلام، الذي يرجح "اعتماده (النظرية السياقية للمعنى) التي عرف بها أستاذه فيرث Firth، فقد أخذ عنه أثناء دراسته بانقلترا بعض آرائه، وطعمها ببعض أقوال دي سوسير تطعيما خفيفا"(٢):

١– فيرث اعتنى بدراسة اللغات الحية المنطوقة، ودراسة اللهجات واللغات الخاصة(٣) كذلك تمام حسان اعتنى بدراستها. فقد قامت رسالتا الماجستير والدكتوراه للدكتور تمام حسان على دراسة لهجتين، هما لهجتيْ الكرنك وعدن، كما أنه كان يرى أن إغفال دراسة اللهجات سبب في عدم التجديد في دراسة العربية في العصر الحديث(٤).

٢– فيرث حرص على جعل نظريته لغوية صرفة(٥)، كذلك تمام حسان حرص على دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها(٦).

---

(١) (مناهج البحث في اللغة) صـ ١٤.

(٢) (المنوال النحوي العربي) صـ ١٩٣.

(٣) انظر (التفكير اللغوي بين القديم والجديد) د. كمال بشر، صـ ١٥٣، ط: دار غريب ٢٠٠٥م.

(٤) انظر (اجتهادات لغوية) صـ ١٥، و١٦، وانظر(مناهج البحث في اللغة) صـ ١٤.

(٥) انظر (التفكير اللغوي بين القديم والجديد) صـ ١٤٥ – ١٤٧.

(٦) انظر (مناهج البحث في اللغة) صـ ١٥، و٣٠ و٤٠.

٣- دي سوسير فرق بين اللغة والكلام[١]، وفيرث أنكر تماما تلك التفرقة[٢]، وتمام حسان اتبع دي سوسير في التفريق بينهما. وتمام حسان في تلك المسألة اتبع رأي دي سوسير، وفرق بين اللغة والكلام[٣].

٤- فيرث جعل فكرة (السياق غير اللغوي) أو (السياق الاجتماعي) أو (المقام) أساس نظرته في التحليل اللغوي[٤]، وتمام حسان جعل (المقام) أي المعنى الاجتماعي منتهى نظريته النحوية، وبه يتحقق المعنى الكامل للجملة العربية بعد تحقق المعنيين الأولين: الوظيفي والمعجمي[٥].

٥- فيرث سار في دراسته للغة وتحليلها على مستويات محددة يرتبط بعضها ببعض بشكل وثيق، حيث يبدأ بدراسة الأصوات ثم الصرف ثم النحو ثم المعجم ثم الدلالة، فعلم اللغة عنده ذو أنظمة متعددة متكاملة لا يمكن فصل بعضها عن بعض، فهي تشبه فروع الشجرة من حيث الاستقلال والتبعية[٦]، وكذلك تمام حسان نظر إلى اللغة باعتبارها منظمة مكونة من عدد من الأنظمة منها النظام الصوتي والصرفي والنحوي، والمعجم جزء من اللغة، وليس نظاما من أنظمتها، ولا بد مع كل هذا من (معنى المقام) ، وهو المعنى الاجتماعي الذي يجمع القرائن الحالية مع ما في السياق من قرائن مقالية ليتم الوصول للمعنى

(١) انظر (التفكير اللغوي بين القديم والجديد) صـ ٩٩، وصـ ١٠٦.

(٢) انظر (التفكير اللغوي بين القديم والجديد) صـ ١٤٧/١٥٣.

(٣) انظر (في إصلاح النحو العربي: دراسة نقدية) صـ ١٧٥/ ١٧٦، و(مناهج البحث في اللغة) صـ ٥٠، و(اللغة العربية معناها ومبناها) د. تمام حسان، صـ ٣٢، ط: عالم الكتب، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

(٤) انظر (التفكير اللغوي بين القديم والجديد) صـ ١٥٢.

(٥) انظر (اللغة العربية معناها ومبناها) صـ ٢٨- ٢٩.

(٦) انظر (التفكير اللغوي بين القديم والجديد) صـ ١٤٧- ١٥١ وصـ ١٥٤.

الدلالي[١]، وكتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) فصوله الثمانية هي: الكلام واللغة، والأصوات، والنظام الصوتي، والنظام الصرفي، والنظام النحوي، والظواهر السياقية، والمعجم، والدلالة.

ثانيا: الأستاذ الدكتور محمود شرف الدين:

في عام ١٩٦٣م دخل الأستاذ الدكتور محمود شرف الدين[٢] الجامعة الأمريكية بالقاهرة في منحة دراسية (scholarship) مع خمسة من زملائه بدار العلوم أذكر منهم: سعد مصلوح وعبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحي، وأتقن الإنجليزية، ودخل في برنامج الماجستير بها، لكنه لم يكمله، ثم أعطى محاضرات في الجامعة الأمريكية بوحدة اللغة بقسم اللغة العربية ما بين عامي ١٩٦٨م – ١٩٧٠م، ثم سافر إلى لندن في (فصل صيفي لدراسة اللغويات) لمدة خمسة شهور من يوليو ١٩٧٥م حتى نوفمبر ١٩٧٥م عكف خلاله على القراءة والاطلاع، ولم يعيّن في قسم النحو بالكلية فور تخرجه، فدخل تمهيدي علم اللغة في السنة الأولى، ثم دخل بعدها تمهيدي البلاغة والنقد الأدبي، ثم في السنة الثالثة دخل تمهيدي النحو، ثم ناقش الماجستير عام ١٩٦٨م، ثم الدكتوراه عام ١٩٧٣م، وجاءه التعيين في الكلية بقسم النحو والصرف والعروض عام ١٩٧٦م. وكان لهذا كله أكبر الأثر في فكره، واطلاعه الواسع، وفهمه الدقيق للنحو العربي ومسائله ودقائقه وخفاياه، مما أتاح له نظرات ثاقبة تفرّد بها، وفتح بها آفاقا واسعة في دراسة النحو العربي وفهمه، واستخراج كنوز التراث. هذا الرافد الخارجي لم يجعل فكر الأستاذ الدكتور محمود شرف الدين منغلقا في وعيه للتراث النحوي،

---

(١) انظر (اللغة العربية معناها ومبناها) صـ ٣٣ – ٣٤، وصـ ٣٩ وصـ ٤٠ – ٤١، و(مناهج البحث في اللغة) صـ ٧٠.

(٢) أخبرني – رحمه الله – بهذا في مكتبه بكلية دار العلوم ظهر يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من ربيع الأول عام ألف وأربعمائة وسبعة وثلاثين هجريا الموافق للخامس من يناير عام ألفين وستة عشر ميلاديا.

بمعنى أنه كان حريصا في دراسته للتراث النحوي، وإدراكه لأوجه التفرد في دراسة القدامى له على أن يُعيد صياغة هذا كله، وتقديمه بلغة علمية غير منقطعة عن اللحظة المعرفية، وهو ما لمسنا آثاره في مصطلحاته التي استخدمها في دراسة الجملة، وعبرت عنها أسماء كتبه، مثل: (الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة: دراسة تفسيرية)، و(جملة الفاعل بين الكم والكيف)، و(الجملة الحكمية الفعلية)، وغير ذلك مما يدل على أن أدواته في دراسة الجملة كانت تجمع بين طريف وتالد.

المبحث الأول

معالم مفهوم (الجملة) عند تمام حسان

يمكن تشكيل تلك المعالم من خلال ثلاث أفكار رئيسية[١] يجمعها كلها أمر واحد يتمثل في علاقة المبنى بالمعنى:

الفكرة الأولى: فكرة **(أقسام الكَلِم)**.

الثانية: فكرة **(تعدد المعنى الوظيفي والمعجمي للمبنى الواحد)**.

الثالثة: فكرة **(تضافر القرائن)**.

الفكرة الأولى: (فكرة أقسام الكلم)[٢]

وأول ما يمكن أن نستشف منه اتجاه تحليل (الجملة) عند الأستاذ الدكتور تمام حسان هو تصوره للغة ككل، والذي يراها تشبه جسم الإنسان من حيث إنه جهاز حيوي مركب من عدة أجهزة فرعية، فاللغة كذلك منظمة مكونة من مجموعة من الأنظمة: النظام الصوتي، والنظام الصرفي، والنظام النحوي[٣]، ومعنى تسمية تلك الأفكار المركبة نظاما أن بين بعضها وبعض علاقات عضوية محددة، وكذلك أوجه خلاف بين كل واحدة منها وبين الأخرى بحيث يؤدي كل منها في النظام وظيفة تختلف عما تؤديه الأخرى[٤]، وعلى هذا نجده أسس "فكرة تراتبية النظم اللغوية (أو المستويات التحليلية)"[٥]، فهو يرى أن النحو العربي غابت عنه

---

(١) انظر (اجتهادات لغوية) صـ ٨٦ – ١٠٤.

(٢) انظر (اجتهادات لغوية) صـ ٨٦– ٨٨.

(٣) انظر (اللغة العربية معناها ومبناها) صـ ٣٣.

(٤))"فللنظام إذًا تكامل عضوي، واكتمال وظيفي يجعله جامعا مانعا بحيث يصعب أن يستخرج منه شيء أو أن يضاف إليه شيء"، (اللغة العربية معناها ومبناها) صـ ٣١٢.

(٥) (في اللسانيات العربية المعاصرة: دراسات ومثاقفات) د. سعد عبد العزيز مصلوح، (المبحث السابع: المذهب النحوي عند تمام حسان من نحو الجملة إلى نحو النص) صـ ٢٢٥، الطبعة الثانية، عالم الكتب ٢٠١٥م.

فكرة المستويات التحليلية من التقعيد[١]، وفكرة العلاقات النظامية التراتبية بين تلك المستويات[٢]. بدأ دراسته بالأنظمة الصغرى المكونة للجملة ابتداء بالنظام الصوتي ثم الصرفي ثم النحوي، "وما دامت الجملة هي الوحدة اللغوية الكبرى التي بها اللغة، نظريا وتطبيقيا (أي في الكلام)، تتحقّق وتتحرك شكلا ووظيفة (أو مبنى ومعنى حسب مصطلحات الكاتب) فلابد من الابتداء بها والنزول من أجزائها الكبرى التي هي التراكيب النحوية، حتى نصل إلى أصغر أجزائها الذي هو الصوتم مرورا بالأشكال الصرفية، وذلك في نظرية لغوية متكاملة، لا تفصل بين الشكل اللغوي والأشكال اللغوية التي تكوّنه"[٣].

فالجملة العربية تتكون من التراكيب النحوية التي تتكون من وحدات أصغر هي الكلمات، والتقسيم الثلاثي للكلمة العربية (الاسم والفعل والحرف) يعدّ في نظر الأستاذ الدكتور تمام حسان ملبسِا، ومختلطا، وجامعا بين ثلاث كتل من المباني التي تحوي في داخلها تقسيما فرعيا يختلف من حيث الشكل والوظيفة، مما دفعه هذا إلى إعادة تقسيم الكلم العربي على أسس من المعنى والمبنى معا تختلف عن أسس التقسيم السابق ونتائجه[٤]، و**أسس المبني** التي اعتمد عليها في

(١) وهذه الفكرة لم تغب عن النحاة القدامى، ودليل ذلك أن ابن جني في بداية (المنصف) اعتبر أن دراسة الصرف أصلا لدراسة النحو، فقال: "من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف؛ لأن معرفة ذات الشيء الثابتة ينبغي أن تكون أصلا لمعرفة حاله المتنقلة" جـ ١ صـ ٤، وزارة المعارف العمومية – إدارة إحياء التراث القديم، الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ – ١٩٥٤م، وكذلك سمى كتابه الذي يتناول علم الأصوات والتصريف: (سر صناعة الإعراب) وعيا منه بالدور التأسيسي الذي يمارسه هذان العلمان في إقامة صناعة الإعراب، وانظر (مفتاح العلوم) للسكاكي، فهو أيضا كان على وعي بالمستويات اللغوية، وما بينها من علاقات.

(٢) انظر (في اللسانيات العربية المعاصرة) صـ ٢٢٣.

(٣) بحث (النظام اللغوي بين الشكل والمعنى) صـ ٢٢١.

(٤) وذلك لأن "التفريق على أساس من المبنى فقط أو المعنى فقط ليس هو الطريقة المثلى التي يمكن الاستعانة بها في أمر التمييز بين أقسام الكلم. فأمثل الطرق أن يتم التفريق على أساس من

تقسيمه الجديد سبعة، هي: الصورة الإعرابية، والرتبة، والصيغة، والجدول، والإلصاق، والتضام، والرسم الإملائي، و**أسس المعني خمسة**، هي: التسمية، والحدث، والزمن، والتعليق، والمعنى الجملي، و"لابد من أن يتضافر اعتبار المبنى، واعتبار المعنى في التفريق بين قسم بعينه وبين بقية الأقسام"(١)، وبناء على تلك الأسس أعاد التقسيم لأقسام الكلم على النحو السباعي التالي: الاسم: ومعناه الاسمية، الصفة: ومعناها الوصفية، الفعل: ومعناه الفعلية، الضمير: ومعناه الإضمار، الظرف: ومعناه الظرفية، الخالفة: ومعناها الإفصاح، الأداة: ومعناها معنى التعليق بها، ومبررات هذا التقسيم الجديد أفاض في الحديث عنها في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها)(٢).

وأثر هذه الفكرة على فهمه للجملة العربية مهم؛ لأن أي دراسة للجملة وتحديد لنوعها تعتمد بشكل أساسي على نوع المباني والكلمات التي تتكون منها وتتصدرها، لذا شكلت فكرة (أقسام الكلم) التي اعتمد عليها الأستاذ الدكتور تمام حسان المعلم الأول من معالم فهم الجملة العربية عنده، وكان النظر إلى المعنى والمبنى معا في هذا التقسيم الجديد نابعا من اهتمامه الكبير بالنظر إلى المعنى مكونا أساسيا من مكونات الجملة العربية(٣)؛ "لأن كل دراسة لغوية – لا في الفصحى فقط بل في كل لغة من لغات العالم – لابد أن يكون موضوعها الأول

الاعتبارين مجتمعين، فيُبْنَى على طائفة من المباني، ومعها – جنبا إلى جنب فلا تنفك عنها – طائفة أخرى من المعاني"، (اللغة العربية معناها ومبناها) صـ ٨٧.

(١) (اللغة العربية معناها ومبناها) صـ ٩٠.

(٢) انظر (اللغة العربية معناها ومبناها) صـ ٨٦ – ١٣٢.

(٣) فالمعاني التي تشير إليها حركات الإعراب ليست معاني ذات مضمون حدسي تطابق دائما علاقة اجتماعية ملموسة تدركها ذات معلومة في مقام محدد الإحداثيات ولا هي وظائف نحوية تناسب عددها، وإنما هما معنيان تركيبيان أساسيان. (المنوال النحوي العربي) صـ ٢٩٤ بتصرف يسير.

والأخير هو المعنى، وكيفية ارتباطه بأشكال التعبير المختلفة. فالارتباط بين الشكل والوظيفة هو اللغة، وهو العرف، وهو صلة المبنى بالمعنى"[١].

الفكرة الثانية: (فكرة تعدد المعنى الوظيفي والمعجمي للمبنى الواحد)

عمد الأستاذ الدكتور تمام حسان إلى تشقيق (المعنى) إلى ثلاثة فروع، **المعنى الوظيفي**، وهو: وظيفة الجزئ التحليلي في النظام أو في السياق على حد سواء، و**المعنى المعجمي**، وهو: متعدد لصلاحية الكلمة للدخول في أكثر من سياق، و**المعنى الاجتماعي** أو **معنى المقام**، وبهذا دخل المقام في النظرية النحوية لاستكمال الكشف عن المعنى[٢].

ولابد لبيان تلك الفكرة من شرح مقصوده أولا بـ (المعنى المعجمي) و(المعنى الوظيفي)، فـ **(المعنى المعجمي)** يسبق (المعنى الوظيفي)، ويأتي قبله، وهو عبارة عن المعنى اللغوي للمفردة التي وردت في الجملة العربية، والتي يتم تحديده وإدراكه من سياق النص، مثل (ضرب) في: ضرب زيد عمرا، وضرب الله مثلا، وضرب له موعدا، وضرب له قبة، وضرب عليه ضريبة، وضرب في الأرض، وضرب عددا في عدد آخر، وضرب أخماسا في أسداس. أما **(المعنى الوظيفي)** فهو المعنى الذي يتوقف إدراكه على القرينة. فـ **(الصرف)** يتكون من نظام من **المعاني**، وتأتي **المباني** لتعبر عن تلك المعاني، وتتحقق المباني بواسطة **العلامات**. فاللغة تكون من (المعاني والمباني) مجتمعين، والكلام يكون من (المعاني والمباني والعلامات) معا. يأتي النحو ليستعمل من **المباني** المعبرة عن **معانيه** ما يقدمه له الصرف من: مباني التقسيم، وتحتها: الصيغ/ مباني

---

(١) (اللغة العربية معناها ومبناها) صـ ٩.

(٢) انظر (في اللسانيات العربية المعاصرة) صـ ٢٢٥، و(اللغة العربية معناها ومبناها) صـ ٢٨- ٢٩. "لقد وصلنا التراث العربي مكتوبا ففقد بذلك عنصر المقام الاجتماعي، ولذلك أصبح لزاما على الكاتب قبل إيراد أي نص أدبي أن يعيد تكوين هذا المقام بوصف الأحداث كالذي نلاحظه في التقديم لخطبة الحجاج في أهل العراق مثلا" (اللغة العربية معناها ومبناها) صـ ٢٢٧.

التصريف، وتحتها: اللواصق/ مباني القرائن، وتحتها: العلامات الإعرابية، الرتبة، زوائد العلامة كالهمز والتضعيف للتعدية، أدوات العلاقات، التضام، أدوات الربط[١]، يقول: "والفكرة الهامة التي أردت أن أسجلها تحت هذا العنوان أن **المعاني الوظيفية** التي تعبر عنها **المباني الصرفية** هي بطبيعتها تتسم بالتعدد والاحتمال. فالمبنى الصرفي الواحد صالح لأن يعبر عن أكثر من معنى واحد مادام غير متحقق بعلامة ما في سياق ما، فإذا تحقق المعنى[٢] بعلامة أصبح نصا في معنى واحد بعينه تحدده القرائن اللفظية والمعنوية والحالية على السواء"[٣].

وتعتمد (فكرة تعدد المعنى الوظيفي والمعجمي للمبنى الواحد) على ظاهرة (النقل)، والتي هي نقل اللفظ من القسم الذي يندرج تحته من أقسام الكلم لقسم آخر بمعنى جديد غير معناه الذي كان له قبل النقل، وهو يتم بين المفردات بعضها وبعض، وبين تراكيب الجمل بعضها وبعض كذلك، بشرط وجود قرينة على المعنى الجديد للمفردة أو للجملة.

نجد هذا التعدد والاحتمال في (المفردات) من خلال عرضنا لمباني التقسيم وتحتها الصيغ، ومباني التصريف، ومباني القرائن. فـ (مباني التقسيم) قد تتعدد معانيها **كالمصدر** من الأسماء يتعدد معناه الوظيفي، بحيث ينوب عن الفعل كـ: ضربا زيدا، ويؤكد الفعل كـ: ضربته ضربا، ويبين سبب الفعل كـ: ضربته تأديبا له، وينوب عن اسم المفعول كقوله تعالى: "بدم كذب"، وينوب عن اسم الفاعل كقوله تعالى: "أصبح ماؤكم غورا"، ويأتي بمعنى الظرف كـ: آتيك طلوع الشمس، و**كاسمي الزمان والمكان**، يكونان ظرفين أو يدخلان في علاقة إسناد، و**كالأسماء المبهمة** من المقادير والجهات والأعداد والمكاييل والموازين حين تخرج عن معنى

(١) (اللغة العربية معناها ومبناها) صـ ١٦٣ بتصرف يسير.

(٢) هكذا وردت في نص الكتاب، والمراد من سياق الكلام: (المبنى).

(٣) (اللغة العربية معناها ومبناها) صـ ١٦٣.

الاسمية إلى معنى الظرفية، و**كالصفات** تستخدم لمجرد الوصف وينوب بعضها عن بعض كنيابة فعيل عن فاعل ومفعول، وتستخدم أعلاما، وتدخل في علاقات سياقية مع المنصوبات، وتكون أحوالا ونعوتا، وتدخل في علاقة إسنادية، و**كالأفعال** يتحول معناها إلى العَلَمِيَّة كيزيد ويشكر، و**كالضمائر** تستعمل استعمال الأدوات كما في الإغراء والتحذير، وتنفصل فتؤدي معنى تقسيميا كما أنها تنفصل فتؤدي معنى تصريفيا بدلالتها على معاني التصريف، وتكون وسيلة ربط لعودها على متقدم لفظا ورتبة، و**كالظروف** تكون للظرفية المحضة أو كأدوات للشرط أو الاستفهام أو التعليل، و**كالأدوات** تكون الواحدة منها لعدد من المعاني مثل (ما) تكون موصولة ونافية وكافة ومصدرية ظرفية واستفهامية وتعجبية وشرطية، ومثل (إن) تكون شرطية ونافية وزائدة ومخففة من الثقيلة المؤكدة. وكذلك (الصيغ) صالحة لهذا التعدد والاحتمال، فمثلا معنى صيغة **(أفعل)** التعدية، ومصادفة الشيء على الشيء، والسلب، والإزالة، وصيرورة الشيء ذا شيء، والدخول في شيء، والاستحقاق، والتعريض، والتمكين، وصيغة **(فعّل)** للتكثير، ونسبة الشيء إلى أصل الفعل، والتوجه إلى الشيء، وقبول الشيء. وكذلك (مباني التصريف)، ف **(التاء)** تكون للتأنيث، والوحدة، والمبالغة، و**(الألف والنون)** تأتي مرة للمثنى الحقيقي، ومرة للمطابقة، كما تكون الألف للاثنين، والنون بعدها للرفع، و**(تاء المضارعة)** تمتد على بداية عدد من الإسنادات تتجاوز المخاطب إلى بعض إسناد الغائب. وكذلك (مباني القرائن) بحيث نجد **(الاسم المرفوع)** مبنى صالحا لأن يكون فاعلا أو نائب فاعل أو اسما لكان أو خبرا لإن أو مبتدأ أو خبرا أو تابعا مرفوعا، و**(الاسم المنصوب)** مبنى صالحا لأن يكون أي واحد من المفعولين، أو حالا، أو تمييزا، أو مستثنى، أو منادى مضافا، أو منصوبا على الاختصاص، أو مشتغلا عنه، أو تابعا منصوبا، أو منزوع الخافض. كما أن **(رتبة الصدارة)** تكون لأداة الاستفهام أو الترجي أو التمني أو العرض أو

التخصيص أو القسم أو التعجب، و(**المطابقة**) تكون لمعنى الحال والنعت الحقيقي والخبر المفرد والفعل بعد المبتدأ، و(**الربط باللام**) يكون في جواب القسم، وفي جواب الشرط الامتناعي، وفي خبر إن، و(**الربط بالفاء**) في جواب الشرط، وفي خبر المبتدأ الدال على العموم، ولاسيما حين يكون المبتدأ اسما موصولا، نحو: الذي يأتيني فله درهم، و(**التضام الافتقاري**) يكون بين الموصول وصلته، والجار والمجرور، والنواسخ والمنسوخات، وإلا والمستثنى، وحرف العطف والمعطوف. كما نلحظ هذا التعدد والاحتمال في مباني الجمل، فـ (**مبنى الجملة المثبتة**) يكون للإثبات، نحو: قام محمد، ويكون للدعاء، نحو: رحمه الله، ويكون لصلة الموصول، وصفة الموصوف، وخبر المبتدأ، وضميمة للظرف، وحالا، ومقولا للقول، وكذلك (**مبنى الجملة الاستفهامية**) يكون للاستفهام، ولصدر جملة الشرط، وللإنكار، والتقرير، ومقول القول، وصفة على معنى التشبيه، فقول العرب: هل رأيت الذئب قط معناه كالذئب.

فالمبنى الواحد متعدد المعنى، ومحتمل لكل معنى مما نسب إليه مادام بعيدا عن السياق، أما إذا تحقق المبنى بعلامة في سياق فإن العلامة لا تفيد إلا معنى واحدا تحدده القرائن اللفظية والمعنوية والحالية، ويقف بإزاء هذا التعدد والاحتمال في المعنى الوظيفي تعدد واحتمال في المعنى المعجمي أيضا(١)، "ويمكن القول بأن تعدد المعنى الوظيفي هذا يعطي اللغة العربية مرونة وقدرة على التعبير عن مختلف الأغراض، ويمتعها بتفوق في مجال الأساليب الرفيعة والأداء الفني السامي، إذ يجد الأديب شاعرا كان أو كاتبا بين يديه تراثا هائلا من الصيغ والألفاظ والتعابير صالحة كلها للتشكل حسبما يشاء، والقيام بالوظائف التي يريدها منها ما دام سائرا على عرف أهلها في التخاطب، وعاداتهم في الكلام"(٢).

(١) (اللغة العربية معناها ومبناها) صـ ١٦٣– ١٦٥ بتصرف يسير.

(٢) (الجملة الوصفية في النحو العربي) صـ ١١١.

انعكس هذا الفهم عند تناوله لـ (الجملة العربية)، فلم يُرضِه الاهتمام الكبير الذي يوليه النحاة إلى (العلامة الإعرابية) "باعتبارها كبرى الدوال على المعنى"[(١)]، مما دفعهم إلى بناء النحو كله عليها، وإطلاقهم على تحليل النص تحليلا نحويا اسم (الإعراب)، الذي هو تفسير أواخر الكلمات بحسب العوامل[(٢)].

الفكرة الثالثة: (تضافر القرائن المعنوية واللفظية)

تعتمد تلك الفكرة على سابقتها بشكل كبير، بحيث نجد (المعنى الوظيفي للمبنى الواحد) يتميز بالتعدد والاحتمال مما يتطلب البحث عن القرائن اللفظية والمعنوية والحالية؛ للوقوف على المعنى المقصود، فالقرينة المعنوية والقرينة اللفظية معا يؤديان إلى وضوح المعنى، فمثلا علاقة (الإسناد) لا تكفي بذاتها لفهم العلاقة الرابطة بين طرفي الجملة، ونحتاج إلى مباني التقسيم، ومباني التصريف، وإلى العلامة الإعرابية، وإلى الرتبة، وإلى المطابقة، وإلى غير ذلك من القرائن اللفظية التي تتضافر لإيضاح المعنى الوظيفي الواحد، وبهذا يمكن إعراب الجملة دون الحاجة إلى المعجم والمقام. فوضوح (المعنى الوظيفي) هو الثمرة الطبيعية لنجاح عملية التعليق، ونتيجة لهذا الفهم من أستاذنا الدكتور تمام حسان – رحمه الله – لطبيعة المعنى الوظيفي استطاع تكوين نسق نطقي من صور بنائية عربية لا معنى لها معجميا مع إمكان إعراب هذا النسق النطقي الذي لا يمكن اعتباره جملة عربية بحال من الأحوال، وهو هذا البيت المصنوع:

قَاصَ التَّجِينُ شِحَالَه بِتَرِيسِهِ الـ فَاخِي فَلَمْ يَسْتِف بِطَاسيةِ الْبَرَنْ

وتمكن من إعراب البيت كاملا من غير رجوع إلى المعجم أو المقام؛ ليؤكد على أن الإعراب فرع (المعنى الوظيفي)، وليس (المعنى الدلالي)[(٣)]. وهذا (المعنى الوظيفي) يعين على الفهم صوتيا، وصرفيا، ونحويا. فمن **الناحية**

(١) (اللغة العربية معناها ومبناها) صـ ٢٣٢.

(٢) انظر (اللغة العربية معناها ومبناها) صـ ٢٣٢.

(٣) انظر (اللغة العربية معناها ومبناها) صـ ١٨٠– ١٨١، وصـ ١٨٢– ١٨٤، وصـ ١٩٢– ١٩٤.

الصوتية الحرف مقابل استبدالي، ومن **الناحية الصرفية** المبنى إطار شكلي يتحقق بالعلامة، ومن **الناحية النحوية** العلاقة السياقية تكشف لنا عن الترابط بين المباني التي تحققت بالعلامات في سياق النص. وما بعد ذلك من معنى الكلمة المفردة أو المعنى الدلالي أو معنى المقام فلا نتوصل إليه بالمبنى فقط. فـ (الإعراب) يتوقف على وظائف الأصوات والمباني والقرائن ونظام العلاقات، وهذا الفصل بينها يتم في الذهن فقط لأغراض التحليل اللغوي، أما في التركيب فلا فصل. وبهذا نلمح الصلة أو العلاقة بين كل جزء من أجزاء السياق وبين الأجزاء الأخرى من حيث المعنى والمبنى معا. ويؤكد الأستاذ الدكتور تمام حسان على أمرين:

- خطأ اعتبار الحركات الإعرابية محور النحو العربي وأهم ما فيه.
- القرائن تتضافر على بيان (المعنى الوظيفي النحوي)، ويمكن أن تسقط إحدى القرائن عند إغناء غيرها عنها، وبهذه الحقيقة تفسير لكثير مما عده النحاة مسموعا يحفظ ولا يقاس عليه، أو شاذا، أو نادرا، أو خطأ[١].

وكثر كلام النحاة عن (العامل) باعتباره تفسيرا للعلاقات النحوية، ولاختلاف العلامات الإعرابية، وأنه مناط (التعليق)، وبنوا عليه فكرتيْ (التقدير والمحل الإعرابي)، وألفت الكتب في العوامل اللفظية والمعنوية حتى أوصلها بعضهم إلى مائة عامل[٢].

وأذكى محاولة لتفسير العلاقات السياقية في تاريخ التراث العربي هي ما ذهب إليه (عبد القاهر الجرجاني)، وهو صاحب مصطلح (التعليق)، الذي تناوله الدكتور تمام حسان بالدراسة تحت ما سماه بـ (القرائن المعنوية) أو (العلاقات السياقية)، و(القرائن اللفظية). فـ (التعليق) هو الفكرة المركزية في النحو العربي،

(١) انظر (اللغة العربية معناها ومبناها) صـ ١٨٤ و١٨٥ و ٢٣٣ و ٢٣٦ و٢٤٠.
(٢) (اللغة العربية معناها ومبناها) صـ ١٨٥– ١٨٩ بتصرف يسير.

وفهمه على وجهه كاف وحده للقضاء على خرافة العمل النحوي والعوامل النحوية؛ لأنه يحدد بواسطة القرائن معاني الأبواب في السياق، ويفسر العلاقات بينها على صورة أوفى وأفضل وأكثر نفعا في التحليل اللغوي لهذه المعاني الوظيفية النحوية. فالنظام النحوي تتشابك فيه المعاني العامة (معاني أساليب الجمل)، مع المعاني الخاصة (معاني الأبواب المفردة)، وهذا التشابك يتم بواسطة العلاقات السياقية (القرائن المعنوية). فالكشف عن العلاقات السياقية أو التعليق – كما يسميه عبد القاهر – هو الغاية من الإعراب، وهو أم القرائن النحوية جميعا، ومن أصعب القرائن في الكشف عنها، بحيث يحتاج إلى تأمل(١).

إن (القرائن النحوية) أو (قرائن التعليق) تتضافر؛ لتحقيق أمن اللبس، والكشف عن المعنى(٢)، وهي إما أن تكون قرائن مقالية، أوقرائن حالية (تعرف من المقام الذي هو منبع القرائن الحالية)، فالنحو شبكة من العلاقات السياقية، تقوم كل علاقة منها عند وضوحها في السياق مقام القرينة المعنوية التي تتآزر مع القرينة اللفظية من أجل التحليل والإعراب وفهم المعنى، "ووسيلة الوصول إلى هذا المعنى المعين هي استخدام القرائن المتاحة في المقال سواء ما كان معنويا وما كان لفظيا"(٣)، وهذان النوعان من القرائن يطلِق عليهما مصطلح (القرائن المقالية)؛ لأنهما يؤخذان من المقال لا من المقام، وتتفرع عن هذه العلاقات السياقية (القرائن المعنوية) عدد من الفروع. ولا يزال الأستاذ الدكتور تمام حسان يزيد من الشرح والتوضيح والإبانة، ويشبّه عمل تلك القرائن النحوية لبيان المعنى بعناصر المركب الكيميائي التي تتفاعل مع بعضها لتكون هذا المركب دون

(١) انظر (في اللسانيات العربية المعاصرة: دراسات ومثاقفات) د. سعد مصلوح، ط: عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، صـ ٢٢٥، وانظر (اللغة العربية معناها ومبناها) صـ ١٨١– ١٨٢، وصـ ١٨٥– ١٨٩.

(٢) انظر (في اللسانيات العربية المعاصرة) صـ ٢٢٥.

(٣) (اللغة العربية معناها ومبناها) صـ ١٩١.

إمكانية فصل كل عنصر منها بعد التفاعل، فـ (تضافر القرائن النحوية) معا هو ما يوضح المعنى، ويزيل اللبس(١).

جاءت فكرة (القرائن) عنده تبعا للاهتمام بالمعنى والمبنى معا، ولم ينظر للنحو النظرة الشكلية التي سادت عند النحاة، وتعلّق بكلام (عبد القاهر الجرجاني) في علم المعاني، الذي يراه قمة الدراسات النحوية، فهو خصم للشكل، رأى عيب النحاة الأكبر ميلهم إليه، "فخلاصة النحو عنده كلمتان: قرينة وتعليق"(٢). ففكرة (القرائن) توزع اهتمامها بالقسطاس بين قرائن التعليق النحوي معنويها ولفظيها، ولا تعطي للعلامة الإعرابية منها أكثر مما تعطيه لأية قرينة أخرى من الاهتمام. فكل قرينة من تلك القرائن لا تقف وحدها في نظام إفادة القرائن، وإنما تكون إفادتها في إطار مبدأ (تضافر القرائن). فالقرائن كلها مسئولة عن أمن اللبس، وعن وضوح المعنى، ولا تستعمل واحدة منها بمفردها للدلالة على معنى ما، وإنما تجتمع القرائن متضافرة لتدل على المعنى النحوي وتنتجه(٣). وتدرس (القرائن المعنوية) جميع الوظائف النحوية، وتدرس (القرائن اللفظية) جميع العلامات الإعرابية. وبشكل إجمالي تتلخص (**القرائن المعنوية**) في خمس قرائن، هي: **الإسناد** (تحتها فروع: المسند إليه والمسند)، و**التخصيص** (تحتها فروع: التعدية، الغائية، المعية، الظرفية، التأكيد والتحديد، الملابسة، الإخراج، التفسير)، و**النسبة** (تحتها فروع: معاني الحروف والإضافة)، و**التبعية** (تحتها فروع: النعت، العطف، التوكيد، الإبدال)، و**المخالفة**. وتتلخص (**القرائن اللفظية**) في ثماني قرائن، هي: **العلامة الإعرابية**، و**الرتبة**، و**الصيغة**، و**المطابقة**، و**الربط**، و**التضام**، و**الأداة**، و**النغمة**(٤).

(١) انظر (اللغة العربية معناها ومبناها) صـ ٢٣٢ و ٢٠٧.
(٢) (النظام اللغوي بين الشكل والمعنى) صـ ٢١٦.
(٣) (اللغة العربية معناها ومبناها) صـ ٢٣٢ بتصرف يسير.
(٤) انظر (اللغة العربية معناها ومبناها) صـ ١٩٠– ٢٣١.

تسهم تلك الفكرة بشكل أساسي في تشكيل معالم الجملة العربية عند الأستاذ الدكتور تمام حسان بحيث تعمل على الوعي المتكامل بكافة القرائن الحالية والمقالية في الجملة العربية بما يعزز فهم المقصود بها.

ومن ثَمّ بعد هذا التفصيل تكون **(معالم الجملة)** عند الأستاذ الدكتور تمام حسان هي:

١- تقديم تقسيم ثلاثي للجملة العربية: جملة اسمية وجملة فعلية وجملة وصفية[١].

(١) السبب الذي دفعه إلى الاعتداد بالجملة الوصفية (و"هي التي تبتدئ بوصف يقع مسندا، بعده مسند إليه مرفوع، سواء كان الرفع على الفاعلية، وذلك بعد صفة الفاعل والمبالغة والصفة المشبهة وصفة التفضيل، أو على النيابة عن الفاعل، وذلك بعد صفة المفعول بوجه خاص. ومن ذلك قولنا: قائم محمد، وناجح المجتهدان، أغدار صديقك؟، ما حسن وجه فتاتك، هل أشرف منك أحد؟، وما مذموم فعلك" الجملة الوصفية في النحو العربي) د. شعبان صلاح، صـ ١٦٠) باعتبارها نوعا ثالثا من أنواع الجملة العربية دون الاعتداد بـ (الجملة الظرفية): من المعروف أن الاسم في العربية يكون مسندا إليه فقط، إلا مع النقل وتعدد المعنى الوظيفي في حالة المصدر، والفعل يكون مسندا فقط، أما الوصف فيدل على الأمرين معا، فيقبل أن يكون مسندا، فيؤدي وظيفة شبيهة بوظيفة الفعل في التعليق حيث يطلب مسندا إليه أو منصوبا أو يكون خبرا لمبتدأ ثم هو كذلك يقبل أن يكون مسندا إليه فيكون فاعلا أو نائب فاعل أو مبتدأ، نحو: (خير منك يفعل هذا)، و(جاء الحسن وجهه)، فـ (الحسن) مسند إليه بالنسبة لـ (جاء)، وفي الوقت ذاته مسند بالنسبة إلى (وجهه)، وكذلك في جملة: (أقائم زيد؟)، فـ (قائم) مسند إليه بالنسبة لـ (زيد)، وفي الوقت ذاته مسند بالنسبة إلى (الضمير المستتر فيه). ومن حيث التخصيص، تخصص الأسماء الإسناد بواسطة التعدية أو السببية أو المعية إلخ، ولا يخصصها غيرها، والأفعال باعتبارها أحداثا مسندة إلى غيرها تقبل التخصيص ولا تخصص هي شيئا، والصفات تخصص غيرها كالأسماء، ويخصصها غيرها كالأفعال، فتأتي الصفة مثلا مفعولا به، ويكون لها مفعول به، انظر (اجتهادات لغوية) صـ ٩١، و(اللغة العربية معناها ومبناها) صـ ١٠٣، وتلك الخاصية لا تشارك (الظروف) فيها (الصفات)، بحيث تأتي الظروف تعبيرات عن معنى الجهة شأنها في ذلك شأن كل ما أفاد علاقة التخصيص كالمفعولات والتمييز والحال والمستثنى، فوضع الظروف في السياق وضع المفعول فيه، ولذا يقال

٢– نظرته للجملة نظرة سياقية مقامية.

٣– الاعتداد بالكلمة المصدرة في تحديد نوع الجملة.

٤– حرصه على مراعاة الملابسات السياقية في إثبات الفائدة يجعله تابعا في هذا لابن جني ومن جاء بعده من النحاة القائلين باعتبار الفائدة في الجملة دون نظر إلى الإسناد كما سبق أن بينا في بداية البحث.

للظرف إنه متعلق بالفعل؛ لأنه يفيد تقييد إسناد الفعل بجهة معينة من جهات فهمه، انظر (اللغة العربية معناها ومبناها) صـ١٢٢.

المبحث الثاني

معالم مفهوم (الجملة) عند محمود شرف الدين

يمكن تشكيل تلك المعالم من خلال فكرتين رئيسيتين يجمعهما أمر واحد يتمثل في العلاقة بين التركيب الخارجي والتركيب الداخلي[1] للجملة العربية:

الفكرة الأولى: دراسة الجملة العربية من حيث **الكمّ والكيف.**

الفكرة الثانية: **(الفعلية الملفوظة)** و**(الفعلية الملحوظة).**

الفكرة الثالثة: **(الجمل التي في قوة جمل أخرى)** أو **(جملة بين بين)** أو **(الجملة المحايدة).**

وكل واحدة منهما تحوي عددا من المسائل المهمة التي تسهم بشكل كبير وأساسي في تشكيل معالم مفهوم (الجملة العربية) عنده، والكلام عن كل فكرة بالتفصيل فيما يلي:

الفكرة الأولى: دراسة الجملة العربية من حيث الكمّ والكيف:

تعتمد تلك الفكرة على النظر إلى الجملة العربية من زاويتيْ الكم والكيف، و"المقصود بـ (كم) الجملة عدد العناصر الكلامية التي تتكون منها، وهذا إطلاق قد يرادف (حجم) الجملة، والعناصر التي تكون الجملة قد تكون ضرورية لتكوين

(١) يقصد الأستاذ الدكتور محمود شرف الدين – رحمه الله – بالتركيب الخارجي شكل التركيب المتمثل في مجموعة الرسوم الشكلية الموجودة فيه، وفي الحالات الإعرابية، وفي الترتيب الحر أو المقيد لعناصر التركيب، وفي المطابقة المطلقة أو الجزئية، وفي الترابط الحاصل بين عناصر التركيب عن طريق الرصف وبعض الأدوات، ويقصد بالتركيب الداخلي التركيب المستمد من المعنى الذي يسمح بالتداخل بين الرسوم الشكلية السابقة، ويُستمد من المعنى والنسبة التي بين عناصر التركيب، والمقصود بـ (النسبة) عنده عدة أمور: ما يكتسبه العنصر في الجملة من علاقة نحوية تركيبية، مثل اكتسابه معنى (المفعولية)، أو معنى (الإضافة)/ العلاقة الموجودة بين طرفي الجملة في نمطي التركيب الإسنادي/ المعنى الداخلي المغاير لما يشير إليه الضبط الإعرابي للكلمة في الجملة. والعبرة في التركيب عنده بالنسبة لا بالحالة، وبالمواقع لا بالمراكز، فالشكل يشير إلى موقع ووظيفة، والمعنى يشير إلى نسبة وحقيقة.

ما أسميه بالتركيب الأساسي، ثم قد يزاد عليها فيحدث بهذه الزيادة إما تضخم في المواقع النحوية المعينة، أو زيادة في عدد هذه المواقع. والمراد بـ (كيف) الجملة الطريقة التي ترصف بها العناصر في الجملة، فهذا اعتبار يشار به إلى ترتيب الكلمات في الجملة، كما يقصد به الكيفيات المختلفة التي تطرأ على التركيب من حيث كونه مثبتا أو منفيا، تقريريا أو مؤكدا، دالا على زمن ما من الأزمنة.

فجملة: (محمد ناجح) بسيطة كما، اسمية مثبتة تقريرية تدل على الحال كيفا، وجملة: (كان محمد ناجحا) بسيطة كما، اسمية مثبتة تقريرية ماضية كيفا، وجملة: (إن محمدا كان ناجحا) بسيطة كما، اسمية مثبتة مؤكدة ماضية كيفا.

وقد يعبر عن الكيفية التي يراد للجملة أن تكون عليها عناصر كلامية مثل (كان) و(أن)، كما قد يدل عليها عدم وجود عنصر كلامي أو ما يسمى بالعنصر الصفري أو العلامة الصفرية"[١].

فالتركيب من حيث الكم قد يكون أساسيا أصليا، أو محولا، أو ممتدا، الأول يأتي عندما يكون التركيب مكونا من أقل عدد من المواقع التي جاءت تلبية لطبيعة العنصر الفعلي[٢] فيه، والثاني يأتي عندما ينقص عدد مواقع التركيب الأساسي أو يزيد، والثالث امتداده يتفاوت؛ لأن مجالها واسع لتجيب عن كثير من التساؤلات التي يفترض متلقي الكلام إجابة ملقي الكلام عنها[٣]، ومن حيث

(١) بحث (كم الجملة العربية: وصف وتحليل) الدكتور محمود شرف الدين، حلقة الدراسات اللغوية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة مارس ١٩٧٧م، صـ ٢/١.

(٢) يقصد الأستاذ الدكتور محمود شرف الدين بالعنصر الفعلي (الفعل) في الجملة الفعلية، و(الخبر) في الجملة الاسمية.

(٣) يقول: "وازن مثلا بين: نجح محمد/ محمد ناجح، نجح محمد في الامتحان/ محمد ناجح في الامتحان، نجح محمد نجاحا باهرا/ محمد ناجح نجاحا باهرا. فالتركيب الأساسي من الجملة الفعلية يقابله تركيب أساسي من الجملة الاسمية، والتركيب الممتد من النوع الأول يقابله تركيب ممتد من النوع الثاني، فما يتعلق بالفعل في الجملة الفعلية يتعلق بالخبر في الجملة الاسمية"، (جملة الفاعل بين الكم والكيف) د. محمود عبد السلام شرف الدين، صـ ٢٢ و٢٣، الطبعة الأولى١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

الكيف، أي الهيئة التي تكون عليها الجملة، وهي مرتبطة بنوع الكلمات التي تشغل المواقع النحوية، والمركز الذي تحل فيه وهي تؤدي وظيفتها، والعلامة الإعرابية التي تكتسبها الكلمات، وما بين الكلمات من تشابه وتطابق في النوع والعدد والتعيين والإعراب، ويشمل كيف الجملة أيضا ما يعتريها من تحويلات إلى النفي، والاستفهام، والعرض والتحضيض، والتأكيد، وغير ذلك من المعاني[١].

فهو – رحمه الله – يرى[٢] أن عناصر **(الكيفيات)** لا تسبّب تغيّرًا في كم الجملة، ولا تضخما في المواقع النحوية، بينما **(الكم)** يمكن أن يزداد عن طريق كثرة المواقع، أو عن طريق تضخم الموقع النحوي الواحد، وطريق زيادة **(كم الجملة)** عن طريق كثرة المواقع يتمثل في التعدد في المواقع النحوية للجملة، وغالبا ما يكون الفعل مركز الدائرة لهذه المواقع. وطريق زيادة **(كم الجملة)** عن طريق تضخم الموقع يتمثل في أمرين:

---

(١) (جملة الفاعل بين الكم والكيف) د. محمود عبد السلام شرف الدين، ص (د) بتصرف يسير، ويقول: "المقصود (بالكم) عدد العناصر التي يتكون منها التركيب، وهذا إطلاق قد يرادف (حجم) التركيب. والعناصر التي تكون الجملة قد تكون ضرورية لتكوين ما أسميه التركيب الأساسي، ثم قد تزاد هذه العناصر عناصر أخرى، أو تنقص بعض العناصر فتنتج الزيادة ما أسميه بالتركيب الممتد، وينتج النقص ما أسميه التركيب المجتزأ. والمراد بـ (كيف) الجملة الطريقة التي ترصف بها هذه العناصر، فهذا اعتبار يشار به إلى ترتيب الكلمات في الجملة، كما يقصد به الكيفيات المختلفة التي تطرأ على التركيب من حيث كونه مثبتا أو منفيا، تقريريا أو مؤكدا، دالا على زمنٍ ما من الأزمنة. وقد يقصد بالكيف أيضا ما قد يتحقق في التراكيب من مطابقة بين العناصر المفردة، وكذا الحركة الإعرابية التي يستحقها العنصر الاسمي في الموقع النحوي المعين"، الحلقة الأولى من سلسلة (نحو العربية) بعنوان: (المركب الاسمي) د. محمود عبد السلام شرف الدين، صـ ٥، ٦، الناشر مكتبة الفحام، أكتوبر ١٩٧٩م، وانظر الحلقة الرابعة من (نحو العربية) بعنوان: (الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة) د. محمود شرف الدين، صـ ٧٣، الناشر دار الثقافة العربية، الطبعة الثانية ٢٠٠٧م.

(٢) انظر (المركب الاسمي) صـ ٦، ٧.

١– اندراج الكلمة عنصرا في مجموعة كلامية متلازمة متشابكة كصيرورتها بدلا، أو نعتا مثلا.

٢– كون الكلمة من الكلمات المبهمة التي تحتاج إلى كلام بعدها لتوضيح المراد منها.

وترتب على هذا فكرة طريفة استقاها من سيبويه، وقام بتقسيم الجملة العربية إلى قسمين: **(جملة ذات مواقع)**، و**(جملة ذات موقع)**[١]. الجملة (ذات الموقع الواحد) لها مواقفها وأغراضها الاجتماعية التي تستعمل فيها، وهي ليست مختزلة من الجملة (ذات المواقع) بل علاقتها بها علاقة البدل بالمبدل منه. كما أن لها صيغها الخاصة بها، فقد يكون العنصر المستعمل في (الجملة ذات الموقع): اسما: مفردا أو مضافا، معرفة أو نكرة/ مصدرا/ اسما بدل مصدر/ صفة. ويعد استعمال الـ (جملة ذات الموقع) طريف وضروري في الحياة اليومية السريعة التي ليس فيها مجال لرصف الكلمات في تراكيب متكاملة المواقع النحوية، ولذا نلجأ إلى تلك النماذج لتسعفنا في التعبير عن نفسنا، وهذا ليس حذفا لبعض الزيادات بل هو تخفيف من المعتاد اللغوي، وتخلص منه، واستغلال للعناصر الاجتماعية الأخرى التي تحيط بالعملية الكلامية.

وفي بعض الأمثلة لا نجد في الجملة سوى (الحال) الذي ينهض بأداء المراد لدليل مقالي أو حالي، ويمكن اعتبار الجملة في هذه الأمثلة **(جملة من موقع واحد)**؛ لأنها رغم توحد موقعها تكون اعتمادا على الدليل مساوية في الدلالة

(١) انظر بحث بعنوان: (جملة الموقع النحوي الواحد عند سيبويه) للأستاذ الدكتور محمود شرف الدين.، نشر بمجلة (دراسات عربية) نيجيريا، ١٩٧٥م، وفيه يقول: "والتبويب للجملة العربية بهذا الاعتبار طريف، لأن سيبويه تحدّث بعد ذلك عن جملة المبتدأ والخبر، وإذا كانت (جملة الموقع الواحد) منها الفعلية والاسمية، أمكننا أن نذهب إلى أن سيبويه بوّب للجملة العربية حسب حجمها على النحو التالي: الجملة ذات المواقع (وافية): فعلية/ اسمية، الجملة ذات الموقع (كافية): فعلية فقط/ فعلية أو اسمية/ اسمية فقط" صـ ٧٠.

لجملة (المواقع)، وقد استقرأ كتاب سيبويه وأخرج تشكيلا لكل ما ورد فيه مما اكتُفي فيه بالحال، وكان المعنى مفهوما اعتمادا على الموقف. وكذلك الاكتفاء بالكلمة الواحدة يعطي أكثر من إمكانية إعرابية، مثل: راشد، ومأجور، فعند النصب تكون معنا جملة من **موقع واحد فعلية**، وعند الرفع تكون معنا جملة من **موقع واحد اسمية**، فالاجتزاء يعطي أكثر من احتمال تركيبي(١).

وما زال في كتابه (الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة) يدلل على وجود ما يسميه (روح التراكيب) الكامنة دوما وراء الشكل، والدائرة دوما في خدمة المعنى، مما يُبقي على روح اللغة، ويكتب لها البقاء، يقول: "فاللغة العربية عرفت ما أسميته التركيب الداخلي، كما عرفت التركيب الخارجي، وكلاهما عصب اللغة وعنوان على عبقريتها، فهي كما عرفت القاعدة والقانون أَلِفَتْ كذلك الرخص التركيبية وروح القوانين"(٢). فالمعنى عنده هو عصب التركيب وعموده الفقري، وله دور خطير يجعل التركيب الداخلي للجملة ينتمي لنمط معين، بينما التركيب الخارجي تابع لنمط آخر، يقول: "يبقى للمعنى دور أخطر مما سبق، به يضفي على التركيب كله طابعا يختلف عن الصورة الخارجية التي يرسمها رصفه الشكلي؛ فالتركيب كله من الناحية الشكلية يكون تركيبا اسميا، ليس الفعل عنصرا فيه، لكن المعنى المتضمن داخل هذا التركيب هو معنى فعلي أو يمكن أن نقول: إن التركيب الخارجي ينتمي لنمط رصفي معين على حين ينتمي التركيب الداخلي لنمط آخر "(٣).

---

(١) انظر الحلقة الثانية من (نحو العربية) بعنوان: (جملة الفاعل بين الكم والكيف) د. محمود عبد السلام شرف الدين، صـ٢٤٥ – ٢٤٧ مطبعة التقدم، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م، وفي (الفعليات): "والنظرة الصائبة إلى هذه النماذج ينبغي أن تعتبرها بديلا لتراكيب مستوفية أطرافها"، صـ ٣٤٦.

(٢) (الإعراب والتركيب)، صـ ١٤.

(٣) (الإعراب والتركيب) صـ ٦٩.

وبهذا يتضح أن (المعنى) عند الأستاذ الدكتور محمود شرف الدين محور أساسي يعتمد عليه في النظر إلى الجملة العربية، وتحديد نوعها، ومعرفة ما بين عناصر التركيب من علاقات ونسب نابع من المعنى وراجع إليه، مما أدى إلى القول بوجود تراكيب فعلية مستترة في التراكيب الاسمية، والعكس كذلك.

الفكرة الثانية: (الفعلية الملفوظة) و(الفعلية الملحوظة):

اعتمدت تلك الفكرة على رصد (الفعلية) في الجملة العربية بصورتيها الملفوظة والملحوظة، وألف كتابه (الفعليات) لدراسة تلك الفكرة دراسة مستفيضة مستوعبة، ويبين طبيعة تلك الفعليات بقوله: "ليست الفعليات أفعالا من حيث الشكل، لكنها أفعال من حيث العمل والوظيفة"(١). و(الفعلية) عنده أوسع من مجرد التلفظ بـ (الفعل) في الجملة، فهو يقصد بها الفعل وآثاره في التركيب العربي، فهي معنى يكمن داخل الجملة، والمواقع الفعلية بالجملة تتمثل في موقع الفعل، وموقع الخبر، وموقع النعت، وموقع الحال(٢). هذا المعنى الفعلي الداخلي متفاوت الدرجات والمراتب، الأقوى فيه هو ما يقترب من نمط إظهار الفعل، وتضعف درجة الفعلية شيئا فشيئا حتى نصل لجملة المبتدأ والخبر، وهذا الترتيب التنازلي هو:

أ- ما صنعت وأخاك: فعلي ظاهر صرف

ب- ما لك وأخاك: فعلي معنوي فقط

ت- ما أنت وأخاك: فعلي معنوي على استحياء/ ما أنت وأخوك: اسمي صرف راجح

ث- أنت وشأنك: اسمي صرف فقط (٣).

---

(١) (الفعليات) د. محمود شرف الدين صـ ٢٨.

(٢) انظر (البنية النحوية بين تفاعلات الكلام وثبات النظام) صـ ٢١٤ – ٢٢٠.

(٣) (الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة) صـ ٨٢ بتصرف يسير.

وقدم دراسته القيمة عن الفعليات واضعا في اعتباره مدى قربها من الفعل، يقول: "وبهذا الصدد فإني أقسم الفعليات إلى قسمين: القسم الأول: الفعليات الملفوظة: وهي ما لها ألفاظ تعبر عنها، وهذه الألفاظ تقوم بوظيفة الفعل بدرجات متفاوتة، وهي:

١- اسم الفعل.

٢- الفعليات لفظا ومعنى أي ما فيها حروف الفعل ومعناه، وتنقسم إلى:

(أ) المصدر واسم المصدر.

(ب) المشتقات (اسم الفاعل – صيغة المبالغة – اسم المفعول – الصفة المشبهة – أفعل التفضيل)

٣- الفعليات المعنوية أي ما فيه معنى الفعل دون حروفه (الظرف والجار والمجرور وبعض المعنويات)، وسأطلق على هذا النوع من الفعليات (رائحة الفعل).

القسم الثاني: الفعليات الملحوظة: وهي عناصر اسمية ظهر عليها الأثر الإعرابي الذي يكون للأسماء مع الأفعال، كما أنها تعبر عن معان تعبر عنها الجملة الفعلية الكاملة، فالفعل فيها ملحوظ لا ملفوظ، فهذا النوع فعلي بالحالة الإعرابية التي يأتي عليها، وفعلي بالمعنى الذي يلحظ فيه"[١].

وبتلك الفكرة يتضح لنا معلم مهم من معالم فهم الجملة العربية عند الأستاذ الدكتور محمود شرف الدين، وهو توفيقه في فهم الجملة العربية بين اعتباريْ الشكل والمعنى، فلم يغلب جانبا على الآخر بل تعامل مع الجملة العربية بنظرة مركبة من هذين الاعتبارين، وهو في هذا يسير على نهج سيبويه في دراسته للتركيب، "فإن نحو سيبويه الذي سعى إلى محاكاة هذا اللسان العربي قد اكتسب

(١) (الفعليات) صـ ٢٩ – ٣٠.

قدرا كبيرا من ثراء هذا اللسان وسعته، فجاء مركبا متعدد الأبعاد، ولذا كان محط اهتمام تخصصات العربية جميعها"[١].

الفكرة الثالثة: (الجمل التي في قوة جمل أخرى) أو **(جملة بين بين)** أو **(الجملة المحايدة):**

الحديث المفصل السابق عن كم الجملة العربية وكيفها، وعن الشكل والنسبة في التراكيب العربية، وما ترتب عليه من القول بـ (الفعلية الملفوظة) و(الفعلية الملحوظة) يأخذنا لتلك الفكرة، فهناك جمل تنتمي من حيث شكلها الخارجي إلى نمط معين بينما نسبتها الداخلية تنتمي إلى نمط آخر، يقول: "وفي العربية جمل اسمية، وأخرى فعلية يشتركان في عملية الإسناد، وبين النوعين جمل ظاهرها الاسمية وباطنها الفعلية، وأخرى ظاهرها الفعلية وباطنها الاسمية، وجملة الوصف المبتدأ الذي له فاعل سد مسد الخبر من النوع الأول، وجملة كان وكاد من النوع الثاني، وتتراوح جملة الظرف، والجار والمجرور بين الاسمية والفعلية. وهناك المصدر الصريح والآخر المؤول، والنوع الأخير هو في الحقيقة مثال لتحويل الفعليات إلى اسميات بتوظيف خمسة حروف مصدرية معروفة، وقد يستنبط المعنى الاسمي من الفعل باللجوء إلى المعنى"[٢]، وقال عن المعنى الفعلي الموجود في الجملة الاسمية: "وهو معنى يصل إليه المحلل بمجهود استنباطي غير معقد أو مشكل؛ إذ قد يحصل عليه إما من المبتدأ فقط، أو من الخبر فقط، أو من الجملة كلها؛ فالتركيب – إذن – ينتمي شكلا إلى نمط معين وينتسب نسبة إلى نمط آخر؛ لأن المعنى يتم ويتضح على الرغم من عدم توفر

(١) (إضمار الفعل في الفكر النحوي) صـ ٩٢.

(٢) (الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة) صـ ١٨. كما يقول في الكتاب نفسه: "فالعنصر الذي هو أمارة على تركيب فعلي مضمر إما فعلي بطبيعته أو بما يدخل عليه من الأدوات المختصة بالدخول على الأفعال، وهذه هي الشرائط التي تجعله أهلا لأن يكون (بدلا من اللفظ بالفعل). فالفعلية إما (ذاتية) فيه أو (مكتسبة)"، صـ ٧١.

الأركان الشكلية لنمط جملة المبتدأ والخبر؛ فالمبتدأ الذي لا يحتاج إلى خبر، أو الذي لا يبحث عن خبر، أو الذي لا يجد خبرا، لا يتم المعنى به إلا إن افترضنا أن العمق التركيبي لهذه التراكيب هو النمط الفعلي لتركيب الإسناد"[١]، وهو سار على ما أشار إليه الرضي، يقول: "وما أشار إليه (الرضي) من (الظاهر) و(الحقيقة) كان من الأشياء التي جعلتني أذهب إلى أن هناك من التركيب ما هو (خارجي) يكمن فيه تركيب آخر (داخلي)، والمعنى الفعلي[٢] هو التركيب الداخلي لبعض التركيبات الاسمية"[٣].

وقد سمّى الأستاذ الدكتور محمود شرف الدين هذه الجمل بـ (**الجمل المحايدة**)، يقول: "والذهاب إلى أن الأفعال تقع موقع الأسماء، والأسماء تعمل عمل الأفعال قول بالتقارب بين القبيلين، فما ظاهره اسم باطنه فعل، وما سطحه فعل عمقه اسم، فالجملة قد تبدأ باسم، لكن هذا الاسم يعمل عمل الفعل فتكون اسمية الظاهر فعلية التقدير، أو قد تبدأ بفعل يفسر باسم فتكون فعلية في سطحها اسمية في عمقها. ولأجل هذه المزاوجة فإني أطلق على التراكيب التي يتحقق فيها ما سبق التراكيب المحايدة أي التي تتراوح بين الاسمية والفعلية. وأصدق ما تتجلى فيه هذه الظاهرة نحو (الأسماء التي تعمل عمل الفعل)، فمع هذه الكلمات تتضاءل الفروق الشكلية ليحل محلها التقارب الوظيفي الذي سبق التنويه به"[٤]، ويقول أيضا: "وهذا نوع من (الحيادية) التي لاحظتها على بعض أمثلة الجملة العربية، فالتركيب ينتمي إلى الجملة الفعلية مرة، وإلى الجملة الاسمية مرة. وتلعب الحركة الإعرابية هنا دورا أخطر من دورها الذي به تفرق بين مواقع الكلمات داخل

(١) (الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة) صـ (ك).

(٢) يقصد به الفعل وآثاره. انظر (الإعراب والتركيب) صـ ٦٤.

(٣) (الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة) صـ ٩٩.

(٤) (الفعليات) صـ ٢٥.

التركيب من فاعل، ومفعول إلخ؛ إذ هي هنا تفرق بين أنماط التراكيب، فالنصب علامة (الفعلية)، و(الرفع) علامة الاسمية"[١].

ومن النماذج التي أوردها الأستاذ الدكتور محمود شرف الدين – رحمه الله – لتلك الجمل التي تكون في قوة جمل أخرى:

١- **(كان) والمعنى الفعلي:** قدر سيبويه والنحاة من بعده فعل الكون لتفسير نصب الاسم بعد واو المعية في تركيب ليس في لفظه ما يشعر بمعنى الفعل، وتم حذفه لكثرة الاستعمال تخفيفا، وبهذا صار نصب الاسم بعد الواو دليل على أن (كان) كانت موجودة وحذفت تخفيفا، وما هذا النصب إلا دليل على الفعل المحذوف[٢].

٢- **(جملة النداء):** من التراكيب التي استقى منها النحويون المعنى الفعلي تركيب النداء؛ فالفعل من النداء محذوف لكثرة استعمالهم، وصار (يا) بدلا من اللفظ بالفعل. فـ (يا زيد) جملة، وليس المنادى أحد جزأي الجملة – المسند والمسند إليه –، فجزآ الجملة أي الفعل والفاعل مقدران عند (سيبويه)، أما عند (المبرد) فحرف النداء سد مسد أحد جزأي الجملة أي الفعل، والفاعل مقدر، والمفعول به على المذهبين واجب الذكر لفظا أو تقديرا؛ إذ لا نداء بدون منادى، والمنادى هو جزء الجملة المنصوب الباقي بعد الاستغناء عن الفعل والفاعل؛ فوجوده ضروري؛ لأنه ينوب عن التركيب كله، كما ينوب أي اسم منصوب من الأسماء التي تستعمل بدلا من اللفظ بالفعل مناب الجملة كلها؛ كقولك: سبحان الله، مرحبا، هنيئا، حمدًا، شكرًا إلخ، وغيرها مما فيه معنى الفعل. فجملة النداء فيها معنى فعلي، وتفرقت الآراء النحوية حول درجة الفعلية؛ أي الفعل وآثاره[٣]، والدليل على أن التركيب الداخلي لجملة النداء هو المعنى الفعلي هو قوله: "ولعل ما جاء في

(١) (الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة) صـ ٧٣، وانظر (الفعليات) صـ ٣٤٦– ٣٥١.

(٢) (الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة) صـ ٨٣ – ٨٤ بتصرف يسير.

(٣) انظر (الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة) صـ٩١ – ٩٤.

نداء المضمر من قولهم: يا أبجر بن أبجر يا أنتا/ أنت الذي طلقت عامَ جعتا، باستعمال صورة ضمير الرفع المنفصل، وقولهم: يا إياك قد كفيتك، باستعمال ضمير النصب المنفصل، أقول: لعل هذا من التراوح بين دواعي الظاهر أو التركيب الخارجي، حيث عومل الضمير معاملة الاسم الظاهر الذي يبنى على الرفع فجاء ضمير رفع منفصلا، وبين دواعي الحقيقة أو التركيب الداخلي، حيث نظر إلى محل هذا الضمير وهو كونه مفعولا؛ لأن في النداء معنى فعليا. وتنوين المنادى المفرد للضرورة من هذا القبيل، حيث ذهب الجمهور إلى أنه يقتصر فيه على القدر المضطر إليه من التنوين، ويبقى الضم، كما في: سلام الله يا مطرٌ عليها/ وليس عليك يا مطرُ السلام"[1].

٣- **(جمل النواسخ)**: تعتبر من حيث الشكل جملا فعلية من فعل وفاعل، لكنها تنتسب في حقيقتها وعمقها إلى الجملة الاسمية من مبتدأ وخبر، يقول: "فالإطار التركيبي الشكلي لجملة المبتدأ والخبر مع النواسخ الفعلية يُلْحقها بجملة الفعل والفاعل والمفعول مرة (كان – كاد)، وبجملة الفعل والمفعول والفاعل أخرى (إن، لا النافية للجنس)، وبجملة الفعل والفاعل والمفعول والمفعول مرة ثالثة (ظن)، لكن العلاقة الداخلية بين عناصر الإسناد الرئيسي في جمل النواسخ تختلف اختلافا جوهريا عن العلاقة بين عناصر جملة الفاعل بأنماطها السابقة، فهذه الجمل – إذن – صورة تركيبية فعلية لتراكيب اسمية؛ فنسيج التراكيب اسمي، ملون مع النواسخ بألوان فعلية شتى أظهر ما تكون عليه مع كاد، وظن، وكان بالترتيب السابق لأسباب تكفل البحث بإبدائها"[2]،"إلا أن الفعلية في جملة (كاد وأخواتها) أقوى من الفعلية في جملة (كان ..)، فاسمية هذه أقوى من فعليتها"[3]، وقد استفاض في الكلام عن جملة (كان) وما فيها من معنى فعلي، وقد تأثر في

(١) (الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة) صـ٩٩.

(٢) (الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة) صـ (م)، وانظر صـ ٧٧.

(٣) (الفعليات) صـ ٣٥٣.

هذا بسيبويه؛ لأن سيبويه كان يسمي اسم كان (اسم الفاعل)، وخبرها يسميه (اسم المفعول)، وسيبويه يقصد بالفاعل والمفعول هنا المرفوع والمنصوب، فهو يسمي خبر كان اسم المفعول؛ لأنه يأتي منصوبا مثل المفعول، ويسمي اسم كان اسم الفاعل؛ لأنه يأتي مرفوعا مثل الفاعل، الأمر الذي يعني أن سيبويه ينظر لجملة كان على أنها جملة فعلية، ولكنه لا ينسى حظها من الاسمية، فيقول عن اسمها (اسم فاعل)، وعن خبرها (اسم مفعول)، ويشرح هذا بقوله: "إن المسلمات النحوية التي تملأ كتب النحو التعليمية تصيب الباحث بشيء من التردد قبل أن ينوي التفكير في معطى فكري جديد قد تمدّ به المصادر الأولى، وفي مقدمتها الكتاب، ولعل من هذه المسلمات مسلمة (نواسخ) المبتدأ والخبر؛ حيث تصور النحاة التعليميون أن هذه النواسخ أدوات طارئة ووافدة على تركيب الجملة الاسمية، تغيّر الحالة الإعرابية لأحد ركنيها أو لهما معا. فالأصل هو الجملة الاسمية بدون النواسخ، ويعتري هذا الأصل تحورات بدخول النواسخ. أما ما عند (سيبويه) فمختلف تماما، بل أكاد أقول إنه على العكس مما ذكر المتأخرون"(١)، وها هو كلام سيبويه الذي استلهم منه أستاذنا تلك الفكرة: "وزعموا أن ناسا يقولون: كيف أنت وزيدا، وما أنت وزيدا. وهو قليل في كلام العرب، ولم يحملوا الكلام على ما ولا كيف، ولكنهم حملوه على الفعل، على شيء لو ظهر حتى يلفظوا به لم يَنْقُضْ ما أرادوا من المعنى حين حملوا الكلام على ما وكيف، كأنه قال: كيف تكون أنت وقصعةً من ثريد، وما كنتَ وزيدًا ... لأنهم يقولون: (ما كنتَ) هنا كثيرا ولا ينْقُضُ هذا المعنى. وفي (كيف) معنى يكون، فجرى (ما أنتَ) مجرى (ما كنتَ)، كما أن كيف على معنى يكون"(٢). ويعلق أستاذنا على هذا النص لسيبويه بقوله: "إن هذه العملية التحويلية التي قام بها (سيبويه) تُقدّم – والله أعلم – فكرا نحويا مختلفا

(١) (الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة) صـ ٧٤.

(٢) (الكتاب) سيبويه، بتحقيق وشرح عبد السلام هارون، جـ ١ صـ ٣٠٣– ٣٠٤، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الخامسة ١٤٣٥ هـ – ٢٠١٤م.

تماما عن فكر كتب النحو التعليمية. فتركيب (كان) هو الأصل ثم اعترى هذا الأصل تغيّر بالتخفف من (كان)؛ لأن المعنى على حذفها وعلى ذكرها واحد"[١]. وقد أتى بالكثير من الشواهد النحوية ومن كلام سيبويه ليعزز فكرته من أن تركيب (كان) أصل يتفرع عنه قول العرب (أما أنت منطلقا انطلقت معك) و(أبا خراشة أما أنت ذا نفر)، فجملة (كان) المتلوة باسم مرفوع فآخر منصوب هي الأصل، وأن جملة المبتدأ والخبر هي الطارئة، فالناسخ في الحقيقة ليس زيادة كان على الجملة الاسمية من المبتدأ والخبر، بل على العكس من ذلك هو التخفف من (كان)، ورفع ما كان منصوبا معها[٢]، يقول: "وأرى – والله أعلم – استنتاجا من كل ما قاله (سيبويه) عن (كان)، ومن حديثه عن جملتها أثناء حديثه عن الفعل والفاعل، ومن حديثه عن حذف (كان) من جملتها، وبقاء أثرها الفعلي أو عدم بقائه، ومن موازنته بين جملة كان الملفوظة أو المنوية وجملة المبتدأ والخبر، وذهابه إلى أن الأولى للدلالة على الماضي (كان)، أو المستقبل (يكون) أما الثانية فللدلالة على الحال، أرى أن الأنماط التالية للجملة في اللغة العربية كانت متوازية:

١- ضرب علي اللص: والفاعل والمفعول فيها شيئان مختلفان.

٢- كان علي جارك: والفاعل والمفعول فيها لشيء واحد، وتدل على الماضي.

٣- يكون علي جارك: والفاعل والمفعول فيها لشيء واحد، وتدل على المستقبل.

٤- علي جارك: المبتدأ والخبر لشيء واحد، وتدل على الحال.

---

(١) (الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة) صـ ٨٥.

(٢) انظر (الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة) صـ ٨٧ – ٨٨.

فلا نسخ في نظري؛ لأن جملة (كان) وجدت للغرض الدلالي السابق الإشارة إليه. ويمكن استيفاء للفكرة أن يقال أيضا إن الزمن في الجملة العربية فعلية كانت أو اسمية عبر عنه بالطريقة التالية:

١- ضرب علي اللص ٢- يضرب علي اللص ٣- سيضرب علي اللص	جمل فعلية للأزمنة الثلاثة
٤- كان علي جارك	
٥- يكون علي جارك	جمل اسمية للأزمنة الثلاثة
٦- علي جارك	

٤- وهذا التصور تقريبي؛ لأن المضارع وحده يدل على الحال والاستقبال، ثم إننا نجد جملا كثيرة استعمل فيها (سيكون)" [١].

٥- **(جملة الوصف الصريح)**[٢] المسبوق بنفي أو استفهام عند البصريين، أو غير المسبوق عند الكوفيين: هذه الجمل اسمية في ظاهرها فعلية في حقيقتها، مثل: أذاهب أخوك، وأقائم الزيدان، وأكاتب أخوك الدرسَ؟، وأمكتوب الدرسُ؟. هذه جمل محايدة؛ لأن المبتدأ فيها اسم شكلا وفعل وظيفة، فهي وإن بدأت باسم مرفوع (اسمية)، تقترب من (الفعلية) بتطلبها فاعلا ومفعولا، أو نائب فاعل، "فهي من حيث إنها بدأت باسم اسمية، لكن علاقة هذا الاسم بما بعده تشبه علاقة الفعل

(١) (الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة) صـ ٩٠ – ٩١.

(٢) انظر (الفعليات) صـ ١٩ – ٢٠.

بما بعده، فهي من هذه الناحية فعلية، أي أنها في التقويم النهائي بين بين (محايدة)"[١]. فالجملة عند الأستاذ الدكتور محمود شرف الدين – رحمه الله –: اسمية (مبتدأ وخبر)/ محايدة (مبتدأ وفاعل/ نائب فاعل) مثلا/ فعلية (فعل وفاعل/ نائب فاعل).

و(المحايدة) فيها من الاسمية (المبتدأ)، وفيها من الفعلية (الفاعل أو نائبه) سادا مسد الخبر لكن تظل علاقة الفاعل أو نائبه بالمبتدأ في (المحايدة) تشبه علاقة الفاعل أو نائبه بفعله، وهذا النوع من الجمل قريب من (الفعلية)، وبسبب هذا التراوح بين الظاهر والباطن أو بين السطح والعمق صارت تراكيب محايدة، وقد عطف عليها بالجملة الفعلية مراعاة لعمقها في البيتين التاليين:

أمنجز أنتم وعدا وثقت به * أم اقتفيتم جميعا نهج عرقوب

و

أقاطن قوم سلمى أم نووا ظعنا * إن يظعنوا فعجيب عيش من قطنا[٢]

٦- **(جملة الحال المؤكدة لمضمون الجملة)**[٣]: مثل (محمد أبوك عطوفا)، "وهو الحق مصدقا"[٤]، و(هو المسكين مرحوما)، فهذه جمل اسمية في قوة جمل فعلية على معنى: يعطف عليك أبوك عطوفا، وحق ذلك مصدقا، ويرحم المسكين مرحوما.

---

(١) (الفعليات) صـ ٣٥٢.

(٢) انظر (جملة الفاعل بين الكم والكيف) صـ ١٢٢، وصـ ٢٢٧.

(٣) انظر (الفعليات) صـ ٣٠٩/ ٣١٠.

(٤) سورة (البقرة) آية ٩١.

٧– **(جملة الظرف وأخيه الجار والمجرور) أو الفعليات المعنوية**[١] **(روائح الأفعال):** وهي جمل محايدة؛ "لأنها تبدأ بعناصر اسمية فيها معنى الفعل، فهي – إذن – اسمية الظاهر فعلية الباطن"[٢].

٨– **جمل محايدة ظاهرها الفعلية وباطنها الاسمية،** مثل: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه/ جملة (نعم وبئس): "فهذا النوع من الجمل يبدأ بفعل فقد كثيرا من خصائص الفعل الشكلية، وهو التصرف، كما فقد بعضا من خصائص الفعل المعنوية وهي الدلالة على الزمن والحدث، وأصبحت تدل على إنشاء المدح والذم المبالغ فيهما"[٣].

وكانت فكرة (الجمل المحايدة) تلك سببا في عدم تقسيم الأستاذ الدكتور محمود شرف الدين للجملة إلى قسمين: اسمية وفعلية، بل أدرك هو حظ التداخل بين القسمين في تلك التراكيب، فما ظاهره جملة اسمية في باطنه جملة فعلية، والعكس صحيح.

وبعد هذا التفصيل يمكن إجمال (معالم الجملة) عند الأستاذ الدكتور محمود شرف الدين فيما يلي:

١– السياق مقوّم من مقومات فهم الجملة عند الأستاذ الدكتور محمود شرف الدين، فهو من أنصار المدرسة التي تقول بالفائدة، ولا تقول بضرورة وجود

---

(١) يقصد بالفعليات المعنوية ما تضمن معنى الفعل دون حروفه، كالظرف والجار والمجرور المخبر بهما، وحرف التنبيه، واسم الإشارة، وحرف التمني (ليت)، وحرف التشبيه، وحرف الترجي، وحرف النداء، والاستفهام المقصود به التعظيم، والإضافة المحضة، ومعنى الكلام أو الجملة، وتمام الكلام في التمييز ومتفرقات أخرى.انظر (الفعليات) صـ ٢٧٨ – ٣٢٤.

(٢) (الفعليات) صـ ٣٥٢.

(٣) (الفعليات) صـ ٣٥٣.

الطرفين كما عرفنا في اتجاهات النحاة في دراسة الجملة عند ابن جني ومن وافقه من النحاة الذي أتوا بعده(١).

٢- بنى الأستاذ الدكتور محمود شرف الدين على ملاحظة السياق والاعتداد به كلامه عن الفعلية الملفوظة والفعلية الملحوظة، وما وصفت الثانية بالفعلية إلا لأنها في ضوء السياق ستصير جملة فعلية، وسماها (ملحوظة)؛ لأن الفعل فيها غير موجود.

٣- الأستاذ الدكتور محمود شرف الدين لم يتقيد في نظره للجملة بتقسيم معين، ولكنه أدرك حظ التداخل بين الاسمية والفعلية في بعض الجمل.

٤- الجملة العربية عنده تأتي أحيانا مستوفية الأركان، وأحيانا أخرى تأتي ناقصة الأركان على مستوى اللفظ، كاملة الأركان على مستوى اللحظ؛ مراعاة للسياق الكلامي الاستعمالي.

٥- اعتمد نظره للجملة العربية على تبين مستويين: مستوى اللفظ أو السطح، ومستوى المعنى أو العمق.

٦- مركزية الفعل في الجملة العربية.

٧- تداخل الحدود بين كلمات اللغة، فما ظاهره اسم يحمل طاقة الفعل في داخله، فيصير فعليا.

رأي البحث:

بعد هذا العرض لمفهوم الجملة عند الأستاذ الدكتور تمام حسان والأستاذ الدكتور محمود شرف الدين – رحمهما الله تعالى – يظهر لنا عدد من المحاور المركزية التي شكلت نظرتهم للجملة العربية، وحديثهم عنها:

---

(١) قسم الدكتور أحمد عزت عيسى في رسالته للماجستير (إضمار الفعل في الفكر النحوي: دراسة تحليلية) النحاة إلى فريقين في لحظ دور الموقف في الجملة، انظر صـ ١١١- ١١٢، رسالة ماجستير مخطوطة بكلية دار العلوم جامعة القاهرة.

أولى تلك المحاور الرئيسية كانت نظرتهم لنظرية (العامل) في النحو العربي. فالأستاذ الدكتور تمام حسان بنى نظريته (القرائن النحوية) كبديل لنظرية العامل التي أولاها النحاة – في نظره – اهتماما كبيرا. فالعلامة الإعرابية لديه قرينة لفظية إلى جانب غيرها من القرائن اللفظية والمعنوية والحالية التي يستعان بها في تحديد المعنى النحوي للجملة، فالإعراب عنده فرع المعنى الوظيفي النحوي وليس المعنى الدلالي. أما الأستاذ الدكتور محمود شرف الدين فيرى أن (الإعراب) وسيلة تطريزية لونت بها أواخر الكلمات خدمة للمعنى، فهذا التنويع في نهايات الكلمات للتعبير عن المعاني النحوية المتعددة التي للكلمات في المواقع النحوية المختلفة، ويضاف لتلك الوسيلة التطريزية عدد من العلامات الأخرى، مثل: علامات التأنيث، والتثنية والجمع، والتصغير، والبناء للمجهول.

ثاني تلك المحاور الرئيسية لديهما كان (الكشف عن المعنى والسعي وراء إبرازه): سلك كل منهما سبيلا مختلفة لتحقيق هذا الأمر. الدكتور تمام حسان قام في البداية بتشقيق المعنى إلى ثلاثة معان فرعية: المعنى الوظيفي، والمعنى المعجمي، والمعنى الاجتماعي أو معنى المقام، وبهذا دخل المقام في النظرية النحوية لاستكمال الكشف عن المعنى. أما الدكتور محمود شرف الدين فقد اعتنى عناية فائقة بـ (المعنى الفعلي)، أو (المعنى الحدثي) [(١)]، والمراد بالحدث هنا قسيم الزمن في دلالة الفعل، فالفعل يدل على حدث وزمن، والحدث يقوى ويضعف في الأفعال، ويكون قويا في الفعل المتعدي ثم يليه الفعل اللازم، ويقل شيئا فشيئا فيما ينوب عن الفعل، والمعنى عند الأستاذ الدكتور محمود شرف الدين مسئول عن كثير من أوجه السلوك التركيبي، فهو عصب التركيب وعموده الفقري كما يعبر، وهو العامل الحاسم في التفرقة بين التراكيب، يقرّب ويباعد، يقرِّب بين التراكيب

(١) كما سماه الدكتور أحمد عزت عيسى في رسالته للماجستير (إضمار الفعل في الفكر النحوي: دراسة تحليلية) مخطوطة بكلية دار العلوم جامعة القاهرة عام ٢٠١٥م تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمود شرف الدين رحمه الله، وتوسع في شرحه وبيانه فليراجع هناك.

عند الاختلاف الشكلي، كما يباعد بينها عند التشابه الشكلي. فله دور كبير في اختيار صيغة العناصر المفردة المستخدمة في التراكيب، وفي تحديد الوظيفة المنوطة بالكلمات في الجملة، واختيار الوسائل المستخدمة لربط عناصر التركيب بعضها ببعض، وفي التقريب بين المواقع النحوية المؤسسة على رباط معنوي، وفي حدوث تداخل بين الحالات الإعرابية لبعض المواقع النحوية لثبات العلاقة بين عناصر التركيب.

ثالث تلك المحاور الرئيسية (تعدد الأنظمة): فالأستاذ الدكتور تمام حسان اعتبر اللغة منظمة مكونة من مجموعة من الأنظمة: النظام الصوتي، والنظام الصرفي، والنظام النحوي، وأن دراسة أي لغة لابد وأن تقوم على دراسة تلك الأنظمة الثلاثة، كما فرق بين ثلاثة معان: المعنى المعجمي، والمعنى الوظيفي، والمعنى الاجتماعي، وتكلم عن (تعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد)، والدكتور محمود شرف الدين يقول بمبدأ (تعدد الأنظمة) أو (تبادل الأنظمة) أيضا لكن بمنظور مختلف، يقصد به توظيف وضع تركيبي محدد ليؤدي وظيفة نحوية يؤديها وضع تركيبي آخر. وأمثلتها كثيرة في العربية، وتحتاج – كما يرى أستاذنا رحمه الله – إلى تناول خاص لها يكشف العلاقات بين تلك النظم، والسبب الذي يكمن وراء هذا التبادل، وبيان النظام الخاص بكل كلام، ومتى يستعمل.

خاتمة البحث

١– النحو عند الأستاذ الدكتور تمام حسان قرينة وتعليق، وعند الأستاذ الدكتور محمود شرف الدين شكل ونسبة.

٢– (القرائن النحوية) كانت بديل الأستاذ الدكتور تمام حسان عن العلامة الإعرابية، ورأي الأستاذ الدكتور محمود شرف الدين في العلامة الإعرابية أنها مجرد (تطريز).

٣– دراسة الجملة عند الأستاذين الكبيرين انطلقت من دراسة واعية للوظائف والمواقع والعلامات النحوية، فالأستاذ الدكتور تمام حسان بنى نظريته (القرائن النحوية) على الوظائف والعلامات النحوية، فـ (القرائن المعنوية) قامت على الوظائف النحوية، و(القرائن اللفظية) قامت على العلامات النحوية، والأستاذ الدكتور محمود شرف الدين أفاض في الكلام والشرح عن المواقع والوظائف والعلامات النحوية في كتبه، وأقام عليها فهمه للتراكيب العربية، ودراسته لتركيبها الداخلي والخارجي.

٤– دراسة الجملة العربية عند الأستاذ الدكتور تمام حسان انطلقت من الدعوات التي رمت النحو العربي بالقصور، وقدّم معالجة لهذا القصور في دراسته، بينما عند الأستاذ الدكتور محمود شرف الدين فقد قامت دراسته على أساس من استكشاف درر النحو العربي وكنوزه متمثلا في رجالاته الأفذاذ ودراساتهم وكتبهم القيمة وأفكارهم الدقيقة والعميقة.

قائمة المصادر والمراجع والرسائل والبحوث العلمية

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

١- (اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر) د. عبد الرحمن حسن العارف، ط: دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى يناير ٢٠١٣م.

٢- (اجتهادات لغوية) د. تمام حسان، ط: عالم الكتب عام ٢٠٠٧م.

٣- (ارتشاف الضرب من لسان العرب)، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: د. رجب عثمان محمد، مراجعة: د. رمضان عبد التواب، ط: ١، مكتبة الخانجي – القاهرة ١٩٩٨م.

٤- (أسرار العربية) عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري ، الناشر: دار الأرقم بن أبي الأرقم، الطبعة الأولى عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٥- (الأصول في النحو) أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، ط ١ مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٥م.

٦- (الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة: دراسة تفسيرية) د. محمود عبد السلام شرف الدين، الناشر دار الثقافة العرية، الطبعة الثانية ٢٠٠٧م.

٧- (الإيضاح العضدي) أبو علي الفارسي، تحقيق: حسن شاذلي، ط١: دار التأليف – مصر ١٩٦٩م.

٨- (بناء الجملة العربية) الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، ط: دار غريب ٢٠٠٣م.

٩- (التراكيب الإسنادية: الجمل الظرفية – الوصفية – الشرطية) د. علي أبو المكارم، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧م.

١٠- (التفكير اللغوي بين القديم والجديد) د. كمال بشر، ط: دار غريب ٢٠٠٥م.

١١- **(تقويم دار العلوم) الجزء الأول للأستاذ محمد عبد الجواد، والجزء الثاني إعداد لجنة التقويم ١٤١١هـ - ١٩٩١م، طبعة جديدة تصدر بمناسبة العيد المئوي لجامعة القاهرة.**

١٢- **(تمام حسان: رائدا لغويا. بحوث ودراسات مهداة من تلامذته وأصدقائه) كتاب تذكاري إعداد وإشراف: د. عبد الرحمن حسن العارف، ط: عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.**

١٣- **(الجمل) لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، حققه وقدم له: علي حيدر، دمشق ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.**

١٤- (الجملة الوصفية في النحو العربي) د. شعبان صلاح، ط: دار غريب ٢٠٠٤م.

١٥- (جملة الفاعل بين الكم والكيف) د. محمود عبد السلام شرف الدين، طبعة التقدم، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

١٦- (جمهرة أعلام الأزهر الشريف في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين) أسامة الأزهري، ط: مكتبة الإسكندرية ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م.

١٧- (الخصائص) أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة عام ١٩٩٩م.

١٨- (دلائل الإعجاز) أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، الناشر: مطبعة المدني ودار المدني بجدة، طباعة: مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

١٩- (رسالة الحدود) علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي، الناشر: دار الفكر – عمان.

٢٠- (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو) خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى عام ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٢١- (شرح الرضي لكافية ابن الحاجب) محمد بن الحسن الإستراباذي السمنائي النجفي الرضي، دراسة وتحقيق: حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي ويحيى بشير مصري، المملكة العربية السعودية/ وزارة التعليم العالي (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) سلسلة نشر الرسائل الجامعية، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٢٢- (شرح المفصل) ابن يعيش، ط: المطابع المنيرية – القاهرة.

٢٣- (الفعليات) د. محمود عبد السلام شرف الدين، دار مرجان للطباعة – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م.

٢٤- (في إصلاح النحو العربي: دراسة نقدية) عبد الوارث مبروك سعيد، دار القلم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٨٥م.

٢٥- (في اللسانيات العربية المعاصرة: دراسات ومثاقفات) د. سعد عبد العزيز مصلوح، الطبعة الثانية، عالم الكتب ٢٠١٥م.

٢٦- (الكتاب) سيبويه بتحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر مكتبة الخانجي، الطبعة الخامسة ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

٢٧- (اللغة بين المعيارية والوصفية) د. تمام حسان، ط: عالم الكتب – القاهرة، الطبعة الرابعة عام ٢٠٠٠م.

٢٨- (اللغة العربية معناها ومبناها) د. تمام حسان، ط: عالم الكتب – القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٢٩- (المركب الاسمي) د. محمود عبد السلام شرف الدين، الناشر: مكتبة الفحام، أكتوبر ١٩٧٩م.

٣٠- (معجم الأدباء) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، تحقيق: إحسان عباس، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٣١- (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) ابن هشام، تحقيق: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة السادسة ١٩٨٥م.

٣٢- (المفصل في صنعة الإعراب) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، تحقيق: د. علي بو ملحم، الناشر: مكتبة الهلال – بيروت، الطبعة الأولى عام ١٩٩٣.

٣٣- (مفهوم الجملة عند سيبويه) د. حسن عبد الغني جواد الأسدي، ط: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٣٤- (المقتضب) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد، المحقق: محمد عبد الخالق عظيمة، الناشر: عالم الكتب – بيروت.

٣٥- (مقومات الجملة العربية) الدكتور علي أبو المكارم، ط: دار غريب ٢٠٠٧م.

٣٦- (مناهج البحث في اللغة) د. تمام حسان، ط: مكتبة الأنجلو المصرية ٢٠١٤م.

٣٧- (المنصف) شرح الإمام أبي الفتح عثمان بن جني لكتاب (التصريف) للإمام أبي عثمان المازني النحوي البصري، بتحقيق لجنة من الأستاذين: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، وزارة المعارف العمومية – إدارة إحياء التراث القديم، الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

٣٨- (المنظومة اللغوية وتكامل المعرفة) رشيد بلحبيب، دار العالم العربي للنشر والتوزيع – الإمارات، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.

٣٩- (المنوال النحوي العربي: قراءة لسانية جديدة) الدكتور عزالدين مجدوب، نشر كلية الآداب – سوسة، ودار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع بالجمهورية التونسية، الطبعة الأولى ديسمبر ١٩٩٨م.

٤٠- (موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب) خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، تحقيق: عبد الكريم مجاهد، الناشر: الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١٥هـ - ١٩٩٦م.

٤١- (النحو العربي والدرس الحديث: بحث في المنهج) د. عبده الراجحي، ط: دار النهضة العربية ١٩٧٩م.

٤٢- (همع الهوامع في شرح جمع الجوامع) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة التوفيقية – مصر.

الرسائل العلمية:

١- رسالة ماجستير: (إضمار الفعل في الفكر النحوي: دراسة تحليلية) د. أحمد عزت عيسى مخطوطة بكلية دار العلوم جامعة القاهرة عام ١٤٣٧هـ - ٢٠١٥م.

٢- رسالة دكتوراه: (البنية النحوية بين تفاعلات الكلام وثبات النظام) د. أحمد عزت عيسى، مخطوطة بكلية دار العلوم جامعة القاهرة بتاريخ ١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م.

٣- رسالة دكتوراه: (مناهج أعلام النحو في دار العلوم منذ نشأتها وحتى نهاية القرن العشرين: دراسة تحليلية)، د. فاطمة يسري رشدي، مخطوطة بكلية دار العلوم جامعة القاهرة عام ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.

البحوث العلمية:

١- بحث: (جملة الموقع النحوي الواحد عند سيبويه) الأستاذ الدكتور محمود شرف الدين، نشر بمجلة (دراسات عربية) نيجيريا عام ١٩٧٥م.

٢- بحث (الجملة في نظر النحاة العرب) الأستاذ الدكتور عبدالقادر المهيري، حوليات الجامعة التونسية، العدد الثالث عام ١٩٦٦م.

٣- بحث (كم الجملة العربية: وصف وتحليل) الأستاذ الدكتور محمود شرف الدين، حلقة الدراسات اللغوية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة مارس ١٩٧٧م.

٤- بحث (لم أعرب الفعل المضارع) الأستاذ الدكتور عبد القادر المهيري، حوليات الجامعة التونسية العدد السادس عشر عام ١٩٧٨م.

٥- بحث (معالم الجملة النحوية عند أبي بكر بن السراج ت: ٣١٦هـ) أ. عبد الحليم عبد الله، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلد ٨٥ عام ٢٠١٠م.

٦- بحث (النظام اللغوي بين الشكل والمعنى من خلال كتاب تمام حسان اللغة العربية معناها ومبناها) محمد صلاح الدين الشريف، حوليات الجامعة التونسية العدد السابع عشر عام ١٩٧٩م.

* * *